الايقاع الصوتي في مقامات الحريري شكلا ومضمونا

بقلم: نادر مصاروه

الايقاع

يصعب علينا،احيانا، تحديد ووصف مفهوم الايقاع لاعتباره من المفاهيم غير الثابتة والمتغيرة . وقد وصف الباحث جاكبسون لفظة الايقاع " بانها ملتبسة الى حد ما انطلاقا من كون مفهوم الشعر غير ثابت ويتغير مع الزمن[1] . وهو كما يرى الزيدي بانه " من اكثر المفاهيم غموضا قديما وحديثا الى حد اننا لا نجد اليوم تعريفا واضحا له " [2]. فالايقاع ـ كأية اشكالية لم تستقر بعد ـ تستعصي على التعريف النهائي " لان له صورا وتجليات بعدد المختلفين حوله [3] " وهو من الامور التي لا تحدد بالوصف رغم ان ادراكها يتم بالمعرفة [4] " .

ويرتكز الايقاع بالدرجة الاولى على التكرار والترديد [5] ، ولهذا الترديد والتكرار غايات وأهداف متعددة الجوانب . وترتبط بالتكرار فكرة الانتظام في السياق الزمني بين الوحدات المتكررة ، فهذا الانتظام يُعَدّ لازما للايقاع لكي يحافظ على النسق والمسافات الفاصلة بينه وبين غيره من الأنساق ، وعلى ذلك " فالايقاع تنظيم زمني للحركة " [6].

1 . جاكبسون رومان، **قضايا الشعرية** ، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون،دار بوتقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988 ، ص43.

2 . الزيدي،توفيق ، **مفهوم الادبية في التراث النقدي** ،ط2 ،عيون المقالات، الدار البيضاء، 1987، ص137.

3 . حاتم الصكر ، **ما لا تؤديه الصفة ، بحث في الايقاع والايقاع الدلخلي في قصيدة النثر خاصة** ، مجلة اقلام ، ع5، ايار ، 1990،ص60.

4 . المرجع السابق ، ص65.

5 . نورثروب فراي ، **تشريح النقد محاولات اربع** ، ، ترجمة محمد عصفور ، منشورات الجامعة الاردنية ، عمان ، 1991ص323.

6 . كريم حسام الدين ، **الدلالة الصوتية** ، ص151.

وقد نبّه ريتشاردز الى ان الايقاع هو " النسيج الذي يتألف من التوقعات والاشباعات او خيبة الظن او المفاجآت التي يولدها سباق المقاطع "فتتابع المقاطع على نحو خاص يهيء الذهن لتقبل تتابع جديد من هذا النمط دون غيره ، اذ يتكيف جهازنا في هذه اللحظة بحيث لا يتقبل الا مجموعة محدودة من المنبهات الممكنة ، فبعد قراءة بيت او بيتين من الشعر او نصف جملة نثرية يصبح الذهن مهيأ لعدد معين من التتابع الممكن ، وفي الوقت نفسه يضعف من قدرته على تقبل صنوف اخرى من التتابع " [7] وبناء على هذا فان ريتشاردز يرى أن الايقاع يعتمد على التوقع الذي عادة ما يكون لا شعوريا ، وربط ايقاع الشعر والنثر بهذا التوقع مبيّنا انّ ايقاع الشعر متوقع ومنتظر بفضل التهيؤ الذهني الذي توفره الوحدات الوزنية ، وانتظامها في نسق منتظم زمانيا ، غير ان عملية التهيؤ الذهني ومجال التوقع يضعفان في النثر الذي "تصاحبه حالة من التوقع اكثر غموضا واقل تحديدا مما هي في الشعر " [8] وهكذا يرتبط عنصر الايقاع بالشعر اكثر من غيره من الفنون الكتابية لأعتماد الشعر على الوزن ومحافظته عليه ، فالكلام الموزون يزيد من تحديد الايقاع لقيامه على انتظام الوزن وتكرار هذا الانتظام . كما يختلف الشعر والنثر فيما بينهما في خلق الايقاع واظهاره ، " فايقاع الشعر ثابت ومنظم ومتكرر بسبب الوزن ، ويسود في كيان القصيدة كلها ، غير ان ايقاع النثر منقطع غير متكرر فهو يظهر في اجزاء ويختفي في اجزاء اخرى " [9].

وهكذا نرى ان الايقاع يشمل كافة الفنون ، الشعرية والنثرية. وتعد المادة الصوتية الموظفة في النص النثري اساس هذا الايقاع ، وهي موظفة توظيفا متنوعا من موضع الى آخر في صلب النص الواحد ، ويدخل ضمن ذلك ما يوفره الجانب الصوتي من وزن وتكرار في الاصوات ، وفي المفردات ، والجناس ، والطباق ، وتوازن الجمل وتوازيها [10] . وهذا يعني اعتماد الايقاع على ترديد الوحدات الصوتية ، والوحدات البنيوية اللغوية في السياق على مسافات متقاربة بالتساوي لاحداث الانسجام ، وقد ياتي التردد على مسافات غير متقاربة

---

7. (إ.أ) ريتشاردز ، **مبادىء النقد الادبي** ، ترجمة مصطفى بدوي ، المؤسسة المصرية العامة،القاهرة،1963،ص192.

8. ريتشاردز، **مبادىء النقد الادبي** ، ص188 ـ 189.

9. نور ثروب فراي ، **تشريح النقد** ، ص343.

10. البصري ،عبد القادر داوود، **ايقاع الشعر الحر بين النظرية والابداع** ، اربد ، الاردن،د.ت، ص4.

تجنبا للرتابة.

وهناك ايقاع داخلي قائم في النص ، مؤسّسس على عنصر الحركة الموقعة المجردة من عنصر الصوت ، وهذه الحركة لا يتم ادراكها الا من خلال الفهم الكامل لنمو الحركة داخل البناء الكلي للنص ، وحركة مكوناته ، ونسيج علاقاته [11].

وخلال مقالنا هذا في الحديث عن الايقاع في مقامات الحريري ، سيتم التركيز على العناصر الصوتية . ولما كانت هذه النصوص نثرية، فاننا سنتناول في دراية ايقاعها الى بحث بنية هذه النصوص ونظمها، محاولين البحث عن دلالات هذا الايقاع المتعددة.

التكرار الحرفي في مقامات الحريري

لكل حرف من حروف اللغة صوت ترجع طبقته من التنغيم الى مخرجه من جهاز النطق ، وقد قام العلماء بتشريح هذا الجهاز وبيان المخارج التي تنتسب اليها هذه الحروف . وما اشبه هذه المخارج بالاوتار التي يعزف عليها اللسان من كل وتر صوت ، فتسمع الاذن من هذا جهارة ، ومن هذا همسا ، ومن احدها شدة ، ومن الآخر رخاوة![12].

وسنتناول في هذا الباب الايقاع الناشيء عن تكرار الصوت وتكثيفه في النص ، محاولين تسليط الضوء على الايقاع ، وما يحمل من ابعاد معنويّة في النص، فالوحدة الصوتيه المتكررة في النص تكسبه ميزة خاصة ، وتُعد ذات فاعلية وتأثير في بلورة المعنى.

وتتكثف حروف المد في السياقات التي يحتاج المتكلم فيها ان يعبّر عما يجول في نفسه من مشاعر الحزن او الفخر او التحدي او اللوم او القهر ، وكذلك الدعاء والمواعظ والنصائح ، فحروف المد تلائم غناء النفس : اشواقها وافراحها وآلامها ، وذلك لسعة مخارجها[13].. ولنبدأ بايحاء ذلك الايقاع المتولد من حرف (الالف) وهو اخف حروف المد وقد تكرر في كلام المرأة المفتخرة بقومها امام جماعة من الشعراء "**قالت : حيّا الله المَعَارِفَ ، وَانْ لَمْ يَكُنّ مَعَارِفَ ، إعْلَمُوا يَا مَآلَ الآمَالِ ، وَثِمَالَ الأرَامِلِ ، أنّي مِنْ سَرَوَاتِ القَبَائِلِ ، وَسَرِيّاتِ**

11 . حاتم الصكر ، **ما لا تؤديه الصفة** ، 62.

12 . الغريبي، سعد عبد الله، **الاصوات العربيّة**، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، الطبعة الاولى، 1986،ص34.

13 . نور الدين ، عصام، **علم وظائف الاصوات اللغويّة**، الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الاولى،1992،ص8.

العَقَائِل..." [14]، فتكرير حرف الالف خلق ايقاعا لاءَم مد الصوت في طلب العون والمساعدة ، ومد الصوت ايضا في الفخر ، ويدل تكثيف صوت الالف على ما يكتنف نفس الرجل التائب من مشاعر الأسى والحزن والندم على ما ارتكبه من الذنوب " ......**وبتّ صريعَ الصّهْبَاءِ فِي اللّيْلَةِ الغَرّاءِ، وَهَا أنَا بَادي الكآبَةِ ،لرَفْضِ الأنَابَةِ ، نَامي النّدَامَةِ لوَصْلِ المُدَامَةِ ، شَديدُ الاشْفَاقِ مِنْ نَقْضِ المِيثَاقِ ، مُعْتَرِفُ بالاسْرَافِ فِي عَبّ السُّلافِ...** " [15].

ويتكرر صوت الالف في الدعاء لاطالة الصوت ومدّه: " **يا أهْلَ البَصْرَةِ رَعَاكُمُ الله وَوَقَاكُم وَقَوّى تَقْوَاكُمْ...**" [16]

وفي المقامة الدينارية يقف ابو زيد مستجديا الناس ، قائلا : " **يا أخَايِرَ الذَّخَائِرِ ، وَبَشَائِرَ العَشَائِرِ ، عِمُو صَبَاحَا وَأنْعِمُوا اصْطِبَاحَا ، وَانظُرُوا الَى مَنْ كَانَ ذَا نَديّ وَنَدَى ، وَجِدَةَ وجَدَا ، وَعَقَارِ وَقُرَى ، وَمَقَارِ وَقِرَى ، فَمَا زَالَ بِهِ قُطُوبُ الخُطُوبِ ، وَحُرُوبُ الكُرُوبِ ، وَشَرَرِ شَرِّ الحَسُودِ ، وَانْتِيابِ النُّوَبِ السّودِ، ...فَهَلْ مِنْ حُرٍّ آسٍ ، أوْ سَمْحٍ مُؤَاسٍ** " [17]

نلاحظ هنا كيف تكثف صوت الالف خالقا اتصالا يوحي بانفراج الحياة وسعتها ، يليه تكثف صوت الواو وخلق ايقاع يوحي بصعوبة الحياة وضيقها.

اما صوت(الهمزة) " وهو ذلك الصوت الانفجاري الحنجري الذي ينطق الهواء عند النطق به،بعد انحباسه في فراغ الحنجرة محدثا انفجارا " [18] فقد تكثف في العديد من سياقات الغضب ، والتحدي ، وتبادل الشتائم ، وفي هذه السياقات يخرج الكلام بصعوبة بسبب وقوع الاطراف المتجاورة تحت ضغط الانفعال ، نذكر على سبيل المثال قول ابي زيد حينما

14 . مقامات الحريري، دار صادر ، بيروت، **المقامة البغداديه**: ص112 ـ 113، سيتم اعتماد النسخة المشار اليها سابقا، وسنشير من الآن فصاعدا الى اسم المقامة التي أخذ منها النص المقتبس ورقم الصفحة فقط. **مآل الآمال** : ملجأ الراجي ، **الثقال** : من يعوّل عليه ، **سروات** : جمع سراة او جمع سري وهو السخي ، **سريات** : جمع سريّة وهي الرفيعة القدر ، **العقائل** : جمع عقيلة وهي الكريمة الجيدة .

15 . **المقامة الحرامية** : ص428. الغراء : البيضاء . وهي ليلة الجمعة سميت غراء لما فيها من الفضل . الانابة : الرجوع.

16 . **المقامة البصريّة** : ص443.

17 . **المقامة الدينـاريّة** : ص29 . **نديّ** : مجلس . ندى : جود . **جدة** : غنى . **جدا**: عطية ، **عقار** :ارض ، **مقار**: جمع مقراة وهي الجفنة العظيمة ، **قِرى** : ضيافة .

18 . عبد الرحمن ايوب ، **اصوات اللغة** ، ص217.

يكرر الهمزة بواسطة تكرار صيغة (افعل) حيث يشتم زوجته معددا صفاتها القبيحة امام القاضي فيقول لها: " **وَلَقَدْ عَلِمْتِ أنّي حِينَ بَنَيْتُ عَلَيْكِ ، وَرَنَوْتُ إلَيْكِ ، ألفَيْتُكِ أقبَحَ مِنْ قِرْدَةٍ ، وَأَيْبَسَ مِنْ قِدَّةٍ ، وَأَخْشَنَ مِنْ لِيفَةٍ ، وَأَنْتَنَ مِنْ جِيفَةٍ ، وَأَثْقَلَ مِنْ هَيضَةٍ ، وَأَقْذَرَ مِنَ حِيضَةٍ ، وَأَبْرَزَ مِنْ قِشْرَةٍ ، وَأَبْرَدَ مِنْ قِرّةٍ ، وَأَحْمَقَ مِنْ رِجْلَةٍ ، وَأَوْسَعَ مِنْ دِجْلَةَ** " [19] ، فترد عليه مستخدمة ايضا صيغة (أفعل) : **يا ألأمَ مِنْ مَادِرٍ ، وَأَشْأَمَ مِنْ قَاشِرٍ ، وَأَجْبَنَ مِنْ صَافِرٍ ، وَأَطْيَشَ مِنْ طَامِرٍ ، ...وَأنْتَ تَعْلَمُ أنّكَ أَحْقَرُ مِنْ قُلَامَةٍ، وَأَعْيَبُ مِنْ بَغْلَةٍ، وَأَفْضَحُ مِنْ حَبْقَةٍ فِي حَلْقَةٍ ، وَأَحْيَرُ مِنْ بَقَّةٍ.** " [20] ، نلاحظ هذا التكثيف لصوت الهمزة بوضوح ، والهمزة كما نعلم من الاصوات التي تنطق بصعوبة.

وبرز هذا الايقاع الناشيء من تكرار صوت الهمزة في كلام القاضي الغاضب الذي ثارت أعصابه ، واضطربت نفسيته ، يقول: " **أَأُرْشَقُ فِي مَوْقِفٍ بِسَهْمَيْنِ ، أَأُلْزَمُ فِي قَضِيّةٍ بِمغْرَمَيْنِ ، أَأُطِيقُ أنْ أُرْضِيَ الخَصْمَيْنِ ، وَمِنْ أَيْنَ وَمِنْ أيْنَ ؟** " [21].

وقد تكررت الهمزة في حديث الفتى عن صعوبة معاشرة البكر: " **وطَالَمَا أخْزَتِ المُنَازِلَ ، وفَرَكَتِ المُغَازِلَ ، وَأحْنَقَتِ الهَازِلَ ، وَاَضْرَعَتِ الفَنِيقَ البَازِلَ** " [22] .

وتكثفت الهمزة في حديث ابي زيد عن صعوبة مشوار حياته ، وكثرة اسفاره : " **أَنَا الّذِي أنْجَدَ وأتْهَمَ ، وَأَيْمَنَ وَأَشْأَمَ ، وَأَصْحَرَ وَأَبْحَرَ ، وَأَدْلَجَ وَأَسْحَرَ ...وَأَرْغَمْتُ المَعَاطِسَ ، وَأَذَبْتُ الجَوَامِدَ ، وَأَمَعْتُ الجَلامِدَ...** " [23].

وقد حرص الحريري في بعض مقاماته الى طريق الابدال والنقل للحركة ، فنجده يبدل

---

19 . **المقامة التبريزيّة** : ص347 . **القدّة** : هي القطعة من الجلد غير المدبوغة. **هيضة** : تخمة ينشأ عنها القيء والاسهال. **الحيضة** : بالكسر: خرقة الحائض التي تحتشي بها . **ابرز من قشرة**: اراد انها غير مخدرة . **ابرد من قرة** : من ليلة باردة . **الرجلة** : هي البقلة الحمقاء تنبت في مجاري السيل فيجترفها. **اوسع من دجلة** : يريد انه وجدها مفتضة.

20 . **المقامة التبريزيّة** : ص347. مادر : رجل من بني هلال بن عامر اتخذ حوضا لسقي ابله فلما روت سلح فيه لئلا ينتفع به من بعده. **قاشر** : عام مجدب . **صافر** : طائر يصفر طول ليلته خوفا على نفسه من ان ينام فيؤخذ . **طامر** : أي البرغوث. **حلقة** : جماعة.

21 . **المقامة التبريزيّة** : ص352.

22 . **المقامة البكريّة** : ص378. اخزت : من الخزي او من الخزاية: وهي الحياء. الفنيق البازل: الرجل المجرب.

23 . **المقامة البصريّة** : ص445. **انجد واتهم** : أي سار الى نجد وتهامة. **المعاطس**: جمع معطس وهو الانف أي الصقت الانوف بالرغام وهو التراب.

(الهمزة) (الفا) في كلمة (راسك) وكلمة (كاسك) وذلك في قول الحارث متعجبا من تناقض افعال ابي زيد يعظ في النهار ، ويشرب الخمر في الليل : " ......**فقلتُ : وَالله مَا أدْرِي أأعْجَبُ مِنْ تَسلّيكَ عَنْ أُنَاسكَ ، وَمَسْقَط راسكَ ، امْ مِنْ خطَابَتكَ مَعَ أدْنَاسكَ ، وَمَدَار كَاسكَ**" [24]. نلاحظ في هذا النص تكثيفا لحرف المد (الألف) . والتكثيف يولد ايقاعا جاء هنا موحيا بالدهشة والاستغراب نتيجة تصرفات ابي زيد.

كما نجد ذلك التسهيل في قوله: " **فجلستُ عِنْدَ رَاسه ، حَتّى هَبّ مِنْ نُعَاسه ، فَلَمّا ازْدَهَر سِرَاجَاهُ ، وَاَحَسَّ بِمَن فَاجَاهُ ، نَفَرَ كَمَا يَنفِرُ المُرِيبُ**..." [25] فقد ابدلت الهمزة الفا في الكلمتين: (**راسه وفاجاه**) ، وذلك لتكثيف حرف المد (**الألف**) للايحاء بالمفاجأة والخوف الذي اصاب ابا زيد من رؤيته للرجل في الصحراء قبل ان يكتشف انه الحارث .

وقد ابدلت الهمزة واوا في قول زوجة السروجي وهي تبكي شاكية زوجها : " **قُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا إنّهُ لا مخبأ بعْد بُوس ، ولا عِطْر بَعْدَ عَروس**" [26] فقد ابدلت الهمزة في كلمة(**بؤس**) واوا ، وخلق تكرارها ايقاعاً يواكب اصوات نفسها الباطنة وما فيها من اشجان.

اما ايحاء ذلك الايقاع الذي يتولد من حرف السين " ذلك الصوت اللثوي " الاحتكاكي" المهموس الذي يتسرب الهواء عند النطق به محدثا احتكاكا مسموعا " [27] في النص. فقد جعل منه ابو زيد السروجي وسيلة سحرية لجذب الناس، يؤثر فيها على الناس بغية خداعهم وسلب اموالهم ، ومما يؤكد صحة ما ذهبنا اليه قول ابي زيد للحارث عندما سأله عن الطريقة التي خدع فيها القاضي : " **لوْ لَمْ تُبْرِزْ جَبْهتُهُ السّيَن ، لَمَا نَقَشْتُ الخمسينَ** " [28]. ومن المواطن التي تكثف فيها صوت السين خالقا ايقاعا يوحي بالسحر والشعوذة ، ما نجده في المقامة الحلوانية حيث يدخل ابو زيد الى المسجد ويتسلل بين الناس بهدوء ليبدأ بنفث سحره

24 . **المقامة السمرقنديّة** : ص240. **مع ادناسك** : مع خصالك الدنسة الرديئة . **مدار كاسك** : ادارة خمرك.

25 . **المقامة البكريّة** :ص370. **ازدهر سراجاه** : فتح عينيه.

26 . **المقامة الاسكندريّة** : ص78. **بوس** : الفقر ، **لا عطر بعد عروس** : مثل قالته امرأة من عذرة مات عنها زوجها وكان يدعى عروس ، فتزوجها رجل انجر وامرها ان تتعطر فقالته.

27 . عبد الرحمن ايوب ، **اصوات اللغة** ، ص204.

28 . **المقامة الرحبية** : ص90، الهاء في جبهته تعود على ابن ابي زيد فقد صفّف ابو زيد غرة ابنه بشكل حرف السين فسحر القاضي ، فمنحهم خمسين درهما.

" **فَسَلَّمَ عَلَى الجلاّسِ ، وَجَلسَ فِي أُخرَيَاتِ النّاسِ** "[29] يلحظ كيف تكثف حرف السين عند دخول ابي زيد موحيا ببداية السحر والخداع.

وفي " **المقامة الدينارية**" يظهر تكرار صوت السين في حديثه عن الفقر الذي اجتاحه ، وذلك في محاولته لخداع المستمعين وأخذ اموالهم " **وَاسْتَوْطَنّا الوهَادَ ، وَاستوْطأنَا القتَادَ ، وَتَنَاسَيْنَا الاقتَادَ ، وَاستطبنَا الحَيْنَ المجتاحَ ، وَاسْتبطأنَا اليَوْمَ المُتَاحَ ، فَهَل مِنْ حُرٍّ آسٍ أوْ سِمْحٍ مُؤَاسٍ** "[30] ويبدو ان زوجة ابي زيد قد تشرّبت شيئا من حيله ، فها هي تستخدم عصاً زوجها السحرية لاثارة شفقة القاضي عليها فيكثر صوت السين في كلامها : " ...**فلما اسْتَخْرَجَني مِنْ كِنَاسِي ، وَرَحّلَني عن أنَاسِي ، وَنقلَني إلى كَسْرِه ، وَحَصلَني تَحْتَ أسرِه....إلَى أن مَزّقَ مَا لِي بِأسْرِه ، وَأنفقَ مَالِي فِي عُسْرِه ... وَلِي مِنْهُ سُلاَلَةٌ كأنّهُ خِلاَلَةٌ**..." [31]، ويتأثر القاضي بكلام زوجة السروجي ويتسرب سحر السين في نفسه فيظهر في كلامه " **فأقْبَلَ القَاضِي عَليه وَقَاَلَ لَهُ قَدْ وَعَيْتُ قَصَصَ عِرْسِكَ ، فَبَرْهِنِ الآنَ عَنْ نَفْسِكَ ، وإلاّ كَشفْتُ عَنْ لَبْسكَ ، وَأَمَرْتُ بحبسِكَ** "[32] . اما الحارث فيقدم لنا وصفا ظاهريا لابي زيد وهو يستعد لخداع جماعة من الناس ، فيكثف الحارث حرف السين في ذلك الوصف " .... **وكانَ حِذَتَهُم شخصٌ مَيْسَمُهُ مَيْسَمُ الشُّبَانِ ، وَلَبُوسُهُ لَبُوسُ الرّهبانِ ، وَبِيدِهِ سُبْحَةُ النّسوانِ... وَأرهَفَ أذْنَهُ لاستراقِ السّمْعِ...**" [33].

ويبدأ ابو زيد باستخدام سحر العصا السينيّة : " ...**ليأمنَ سِرْبُكُم ، فَسَأخفرُكُم بما يَسرُّو رَوْعكُم.... ،وأسنَيْنَا له الجَعَالَةَ عنِ السّفَارةِ،.... ثمّ إنِي سَأنفِي مَا رَابَكُم، واستَسِلّ**

---

29 . **المقامة الحلوانية** : ص24 .

30 . **المقامة الدينارية** :ص30. **استوطنا الوهاد** : اتخذنا ما انخفض من الارض بسبب الفقر حتى لا ترى نارهم الضيوف . **استوطنا القتاد** : أي سرنا على الشوك . **المجتاح** : المستأصل . **اليوم المتاح** : هو اليوم المقدر بالموت. **استطبنا الحين** : رأينا الهلاك طيبا.

31 . **المقامة الاسكندريّة** : ص78. **كناسي** : منزلي واصله بيت الظبي او بقر الوحش . **كسرة** : جانب بيته. **أسره** : قيده واسره .

32 . **المقامة الاسكندرية** : ، ص78ـ79 .. **قصص عرسك** : ما قصته زوجك . **لبسك** : إشكالك وتعمية امرك.

33 . **المقامة الدمشقية** : ص102 ، **حذتهم** : أي حذاءهم . **ميسمه** : علامته.

الحذرَ الّذي نَابَكُم...، فَأجِدُّوا سَعْدي، وأسْعِدُوا جِدّي... " [34] ومن ذلك ايضا : " **وفي وَسَطِ هَالَتِه ، وَوَسَط أهلّته شيخٌ قدْ تَقوّسَ وَاقْعَنْسَسَ ، وَتَقَلْنَسَ ، وَتكلّسَ ، وَهْوَ يَصْدَعُ بوعْظٍ يَشْفِي الصُّدورَ.** " [35]

وفي المقامة النصيبيّة يُصاب ابو زيد بمرض طال زمنه ولم يشف منه ، ويصور الحارث مقدار الحزن الذي اعتراهم ، بابيات من الشعر تنتهي بقافية السين المتلوة بحرف المدّ(الالف) ، وكأنّ السين تبكي ابا زيد:

حَيَارَى يميدُ بهم شجوُهُم كأنهُمُ ارتَضَعوا الخندَريسَا
أسالُوا الغُرُوبَ وَعَطُّوا الجيوبَ وَصَكّوا الخدودَ وَشَجّوا الرؤوسَا
يَودونَ لوْ سَالَمَتْهُ المَنُون وغالتْ نَفَائسَهُم والنّفُوسَا[36]

ومن صور الايقاع القائم على تكرار الصوت ، ذلك الايقاع المتولد من تكرار صوت الجيم ، وكثيرا ما ظهر هذا الايقاع في كلام الحارث عندما يتحدث عن ظهور ابي زيد بعد جوّ يسوده الهدوء " والجيم صوت انفجاري مجهور " [37] يخلق عند السامع بعد سلسة الحروف التي توحي اصواتها بالهدوء جوا يخالف ذلك النغم الروتيني فيثير الانتباه " **.... واتخذنا نادياً نَعْتَمِرُهُ طرَفَيْ النّهارِ ، وَنتَهَادَى فيه طُرَفَ الاخبارِ ، فبينَمَا نحنُ فِي بعضِ الايامِ ، وقدْ انتظمْنَا فِي سلكِ الالتئامِ ، وقفَ علينَا ذُو مِقوَلٍ جريّ وجِرسٍ جَهْوَريّ** " [38]

كذلك يتكثف صوت الجيم في كلام ابي زيد بعد صمت طويل اثار دهشة المستمعين ، وجاء

---

34 . **المقامة الدمشقيّة** : ص102ـ103. **ليأمن سربكم** : يقال فلان آمن في سربه أي في نفسه واهله. **اخفركم** : اجيركم واحميكم .

35 . **المقامة الرازيّة** : ص177 . **اهلّته** : الناس المضيئة وجوههم كالاهلّة . **اقعنسس**: افرط قعسه وهو خروج صدره ودخول ظهره.

36 . **المقامة النصيبيّة** : ص165 ـ166 . يميد : يميل . **الخندريس** : الخمر العتيقة. **الغروب**: جمع غرب : وهو الدو الكبيرة والمراد هنا مجاري الدموع . **عطوا الجيوب**: أي شقوها طولا . **صكوا الخدود** : لطموها . **شجوا الرؤوس** : جرحوها.

37 . عبد الرحمن ايوب ، **اصوات اللغة** ، ص209.

38 . **المقامة الفارقيّة** : ص171. **نعتمره** : نقصده ونعمره . **انتظمنا في سلك الالتئام** : توافقنا متآلفين . **ذو مقول** : صاحب لسان . **جري** : مقدام. **جرس** : صوت .

هذا الصوت مسبوقا بحرف المد (الالف) مما اوحى بالقوة وأثار الهيبة والخوف في النفوس ، فان لصوت الجيم وقعاً خاصاً اذا تكثف في السياق السردي : " .... **ثمّ أطرقَ لا يُديرُ لحظا ، وَلا يحُيرُ لفظاً ، حتّى قُلنا قدْ أبلسَتْهُ خَشيةٌ ، أوْ أخرسَتْهُ غَشيَةٌ ، ثّم أقنَعَ رأسَهُ وَصعّدَ انفاسَهُ وَقالَ : أُقسِمُ بالسماءِ ذاتِ الابراجِ ، والارضِ ذاتِ الفِجاجِ ، والماءِ الثّجّاجِ ، وَالسّراجِ الوهّاجِ ، وَالبحرِ العَجّاجِ ، وَالهواءِ العَجاجِ...** " [39] ولعل صوت الجيم وما يوحيه من قوة يلائم القسم بمظاهر قوة الله وقدرته ، ويتكثف صوت الجيم في كلام الحارث بعد ان استيقظ من نومه فوجد أبا زيد قد سرق ناقته ، فتسيطر عليه مشاعر الحيرة والقلق " **...فلم أفِق إلاّ والليلُ قدْ تَوَلّجَ ، والنّجمُ قدْ تبلّجَ ، وَلا السَّروجيّ ولا المُسْرَجَ...أُساوِرُ الوُجُومَ ، وأُساهر النّجومَ ، أفكّرُ تارةً فِي رُجْلَتي ، وأُخْرَى فِي رَجْعَتِي** " [40] وكذلك يلحظ صوت الراء بشكل مكثف في الكثير من نصوص المقامات " والراء صوت لثوي متردد ، وللنطق به يلتقي طرف اللسان باللثة ويفارقها عدة مرات على التوالي...ويسمع هذا الصوت على صورة سلسلة من الانحباسات والانفجارات القصيرة " [41]. أما حرف الراء فهو يتسم بالتكرار، يظل اللسان مرتعشا به زمنا ما كأنه يكرره.[42] ويمكن ملاحظة حضور هذا الصوت في المعنى وتأثيره في دلالة النص ، ومن ذلك ما نجده في هذه الابيات الشعرية التي قالها ابو زيد امام جمع من الناس لاستثارة شفقتهم وبالتالي دفعهم الى منحه ، فقال ابو زيد هذه الابيات وهو عاري الجلدة ، بادي الجُردة ، يرتعد من شدة البرد:

يا قـومِ لا ينبئكُـمُ عن فقري ... أصدقُ من عُرْيي أوانَ القُـرِّ
فاعتَـبِرُوا بما بَدَا مـن ضُرِّي ... باطِنَ حَالي وخَفـيَّ أمـري
وحاذروا انقـلاب سِلْم الدهر ... فإني كـنت نبيـه القـدْر [43]

---

39 . **المقامة الدمشقيّة**: ص106. **الابلاس**: السكوت . **الغشية**: غمرة الاغماء . **الابراج**: بروج الشمس . **الفجاج**: الطرق الواسعة . **الثجاج**: المتدفق . **العجاج**: الغبار الثائر من الهواء .

40 . **المقامة الوبرية** : ص231. **تولج** : دخل . **تبلج** : ظهر واضاء . اساور الوجوم : اواثب وادافع عني الحزن . **رجلتي** : كوني راجلا حيث لم اجد غرسي.

41 . عبد الرحمن ايوب ، **اصوات اللغة ، ص203.**

42 . عز الدين علي ، **التكرير بين المثير والتأثير** ، ط2 ، دار الطباعة المحمدية ، 1978،ص8ـ9.

43 . **المقامة الكرجية** : ص213 (ينظر بقية الابيات في المقامة) ، . القر: الابرد.

ثم يتبع هذه الابيات بقوله: " **يا اربابَ الثّراءِ ، الرَّافِلِيَن فِي الفِرَاءِ ، مَنْ أُوتِيَ خيَراً فَلْيُنْفِقْ ، وَمَنِ استطاعَ أنْ يُرفِقَ فَلْيُرْفِقْ ، فإنّ الدُّنيا غَدُورٌ ، وَالدهرُ عَثورٌ** " [44].

نلاحظ في المثال اعلاه كيف تكثف صوت الراء في هذه النصوص حيث خلق ايقاعا يوحي بالرعشة ، والاهتزاز الواضح في كلام الحارث ، حيث انه من الخوف في حين ان ابا زيد يسرق اموال الناس بعد تخديرهم : " **...فقلت: أقسمُ بمنْ اطلعَهَا زُهْراً ، وَهَدَى بهَا السّارينَ طرّا ، لقدْ جئتُ شيئاً نُكراً، وأبقيتُ لكَ فِي المخزياتِ ذكراً، ثم حرْتُ فكرةً في صَيّورِ أمرهِ ، وخِيفةً من عَدوَى عَرِّه ، حتّى طارَتْ نَفْسِي شَعَاعَاً ، وَأرعَدَتْ فَرائصِي ارْتياعَاً، فلمَا رَأى استطارَةَ فَرَقِي، وَاسْتِشَاطَةَ قَلَقِي، قالَ: مَا هَذا الفكرُ المُرْمضُ، وَالرّوعُ المومِضُ؟ فإنْ يكنْ فكرُكَ فِي أجَلِي مِنْ أجْلِي، فأنَا الآنَ أرتَعُ وأطْفِرُ....."** [45].

ويتكثف صوت الراء، ايضا، في وصف الحارث الغضب الذي انتاب ابا زيد " **....فتضجرَ وَزمْجَرَ وَتَنكّرَ وَفكّرَ...** " [46].

.ومثال ذلك ايضا ما نجده في المقامة السنجارية حيث يصور ابو زيد غضب الوالي منه: " **....تجرّمَ وتضرّمَ ، وحَرّقَ عليّ الأُرَّمَ..** " [47] ويظهر لنا تكثف حرف الراء بشكل واضح ، والراء اذا شددت احتدّ تكرارها ، وهذا يلائم تصوير ارتعاشات الغضب.

اما صوت القاف " **وهو ذلك الصوت اللهوي الانفجاري المهموس** " [48] تكثف في سياقات معينة ، خالقا ايقاعا يوحي بالقسوة والغضب والشدة ، ومن ذلك ما ورد في القسم الصارم الذي قطعه الحارث على نفسه : " **فقلتُ : وَالذي خلقَهَا طبَاقاً ، وَطبّقَهَا إشراقاً، لا ذقتُ لماقاً ، ولا لُستُ رُقاقاً ....** " [49] ويتكثف، ايضا، صوت القاف في عدد من السياقات التي فيها حديث

---

44 . **المقامة نفسها** : ص213ـ 214 .

45 . **المقامة الواسطيّة** : ص249. **طرّا** : جميعا . **العر**: الجرب . **أرعدت**: ارتعدت واهتزت. **فرائصي** : جمع فريصة وهي لحمة عند الكتف ترتعد عند الخوف .

46. **المقامة الدمشقية** : ص111.

47 . **المقامة السنجاريّة** : ص157 . **تضرّم** : التهب غيظا . **حرّق** : حك . **الارم** : الاضراس وقيل الاسنان ، **تقول العرب** : حرق علي الارم اذا حك بعض اسنانه ببعض وجعل اصبعه بينهما اظهارا للغيظ.

48 . عبد الرحمن ايوب ، **اصوات اللغة** ، ص214.

49 . **المقامة الصورية** : ص260 . **خلقها طباقا** : السموات بعضها فوق بعض . طبقها **اشراقا** : جعلها مشرقة وعمها بالنور. **لماقا** : قليلا من مأكول او مشروب . **لُست رقاقا** : ذقت خبزا.

عن صعوبة الحياة وقسوتها ، ومنها قوله: " **وَأنَا يومئذ فقيٌر وَقيرٌ ، لا فتيلَ لِي ولا نقيٌر ...فألجأني صَفَرُ اليدين ، إلىَ التطوّق بالدّين، فادّنت لسُوء الاتّفاق، ممّن هو عَسِرُ الاخلاق، وتوهّمتُ تَسَنّيَ النّفاقِ، فتوسعْتُ في الإنفاق.....** " [50] وقوله للحارث شارحا مقدار صعوبة الحياة مع زوجته : " **...فلقيت منها عَرَقَ القربة ، تمَطُلُني بحقّي ، وَتُكلّفُني فوقَ طَوْقِي...فإنِ انتظمَ بيننا الوفاقُ ، والا فالطّلاقُ والانطلاقُ** " [51]. وساهم الايقاع المتولد من تكرار صوت القاف ايضا في تعميق صورة ذلك الشيخ الذي اثرت صعوبة الحياة وهمومها على هيئته : **...شيخ قدْ تقوّسَ واقعَنْسَسَ وَتَقَلنَسَ وَتطلّسَ..** " [52]ثم صعوبة الفراق:

" **فمَا راقني مَنْ لاقني بعدَ بُعده   ولا شاقني مَنْ سَاقني لوِصَالِه** " [53]

كما يتكثف صوت القاف عندما يقترن بحرف من حروف المد ، ومثال على ذلك ما نجده في المقامة الرقطاء حيث يستدين ابو زيد مبلغا من رجل لئيم ، وحين يأتي موعد سداد الدين يعتذر ابو زيد لهذا الرجل طالبا منه ان يصبر عليه ريثما تنفرج ضائقته ،فيقول : " **لم يصدِّقْ إملاقي ، وَلا نَزَعَ عنْ إرهاقي ، بلْ جَدّ في التّقاضي ، وَلجّ في اقتيادي إلى القاضِي** " [54] فالايقاع المتولد من تكرار صوتي القاف والالف يوحي بالشدة والقسوة التي عاناها ابو زيد . ويتكثف صوت القاف في الحوار القائم بين ابي زيد وزوجته وذلك في المقامة التبريزية ، حيث اخذ الزوجان يتبادلان الشتائم ، فاستخدام الحروف ذات الطابع الانفجاري في تبادل الشتائم يلائم الجو العام : " **ورنوتُ اليكِ ، فالفيتُك اقبحَ منْ قردةٍ ، وأيبسَ منْ قِدّةٍ ، ...وأثقلَ من هيضَةٍ ، وأقذَرَ من حيضَةٍ ، وأبرزَ من قِشرَةٍ ، وأبردَ من قِرّةٍ ، وأحمقَ مَن رِجلَةٍ** " [55] فترد عليه زوجته :" **... وانتَ تعلمُ أنّك احقرُ من قُلامَةٍ ،**

50 . **المقامة الرقطاء** : ص221. **الوقير** : الذي اوقره الدين أي اثقله . **لا فتيل لي ولا نقير**: أي لا املك شيئا.

51 . **المقامة التبريزيّة** : ص345 ـ 346.

52 . **المقامة الرازيّة** : ص177 . **اقعنسس** : افرط قعسه وهو خروج صدره ودخول ظهره. **تطلس** : لبس الطيلسان وهو لباس النساك .

53 . **المقامة الحلوانيّة** : ص24. **لاقني** : علق بي ولزمني . **ساقني** : حثني .

54 . **المقامة الرقطاء** : ص222 .

55 . **المقامة التبريزيّة** : ص347.

وأعيبُ من بغلةِ أبي دُلامة، وأفضحُ من حبقةٍ في حَلقةٍ ، وأحيرُ مِن بقّةٍ في حُقّة... " [56]
وقد تكرر صوت القاف ويتكرر معها صوت العين في الشتائم بالاضافة الى تكرر حروف المد خاصة الالف لاطالة الصوت وايصاله للمشتوم : " **ففرط منه ان قال : يا يلامِعَ القاعِ، ويرامِعَ البِقاعِ...حتى كأنّكُم كُلّفتُم مَشَقّةً لا شُقّةً.** [57]
وفي المقامة الرابعة والاربعين " الشتوية " اقترن حرف الواو مع حرف الراء في الدلالة على كثرة الخير وعظمة النعمة في منزل رجل ثري : " **واقتادني إلىَ بيتٍ عشارُهُ تَخورُ ، وأعشَارُهُ تَفورُ ، وَوَلائدُهُ تمورُ ، وموائدُهُ تدورُ ..**" [58] ، وهذا التكرار يوحي باستمرار الحركة والصوت في هذا المنزل الذي يعجّ بالحياة .
كذلك تتكرر اصوات حروف المدّ عند تبادل الشتائم ، ومن ذلك ما نجده في المقامة " الحجرية " حيث يتشاجر ابو زيد مع غلام يحتاج الحجامة ، ويقول الغلام: " **فإنْ يكنْ سببُ تعنُّتك نفاقُ صنعتك ، فرَمَاهَا اللّه بالكساد وإفساد الحسّاد** " [59]فيرد عليه الحجّام : " **بلْ سلّطَ اللّه عليكَ بثَرَ الفَمِ ، وَتبيّغَ الدّمِ ، حتّى تلجأ الَى حجّامٍ عظيمِ الاشتطَاطِ ، ثقيلِ الاشتراطِ ، كليلِ المشرَاطِ ، كثيرِ الُمخَاطِ والضّراطِ** " [60] فتكرر الألف والياء خلق ايقاعا يلائم مد الصوت وارتفاعه.
كما يخلق تكثيف الألف والنون في بداية المقامة ترنيما موسيقيا يشد انتباه السامع ، يقول الحارث : " **رأيتُ أعاجيبَ الزّمانِ ، أنْ تقدّمَ خصمانِ إلى قاضِي مَعرّة النُّعمانِ ، أحدُهُمَا قدْ ذَهَبَ منهُ الأطيَبَانِ ، والآخرُ كأنّهُ قضيبُ البَانِ**" [61] فهذه الموسيقى تلائم جو الحكاية التي يبدأ بها الحارث.

56 . **المقامة التبريزيّة** : 348
57 . **المقامة الفارقيّة** : ص173 ـ 174. **اليلمع** : السراب . **اليرامع** : حجارة بيض لها بريق، وهذا مثلان يضربان لمن يطمع منظره ويخلف مخبره .
58 . **المقامة الشتوية** : ص384 ، **العشار** : النوق الحوامل . **تخور** : لها خوار . **الاعشار**: هي القدور . **تفور** : تغلي .**الولائد**: جمع وليدة وهي الجارية . **تمور** : تجيء وتذهب لخدمة الاضياف.
59 . **المقامة الحجرية** : ص419.
60 . المقامة نفسها والصفحة نفسها . **بثر الفم** : دمل صغير يخرج جانب الفم . **تبيُّغ الدم**: هيجانه.
61 . **المقامة المعريّة** : ص69. **معرة النعمان** : من قرى بلد الشام واليها ينسب ابو العلاء المعري.

كما نجد هذه الموسيقى الايقاعية في وصف سحر الجارية وجمالها : " **إنْ سَفَرَتْ خَجِلَ النّيِّرانُ ، وَصليَتِ القُلوبُ بالنِّيرانِ ، وإنْ بسَمَتْ أزْرَتْ بالجمانِ وَبيعَ الُمرجانُ بالمجّانِ..** " [62]

الايقاع السجعي

من الصور الايقاعية في المقامات الحريرية ، تلك التي تنبع من التزام السجع ، فالسجع يخلق ايقاعا متعددا في انماطه ودلالاته . وقد برز هذا الايقاع السجعي في اسلوب الترصيع " **وذلك اذا كان في احدى هاتين القرينتين من الالفاظ او اكثر ما فيها مثل ما يقابله من الاخرى في الوزن والتقفية** " [63]، ومن ذلك قول الحارث بن همّام : " **...حتىّ أدّتني خَاتمةُ المَطَافِ ، وَهدتني فاتحةُ الآلطَافِ...** " [64]، وقوله : " **...وهوَ يطبعُ الاسجاعَ بجواهرِ لفظه ، وَيقرَعُ الاسماعَ بزواجرِ وَعظه** " [65] ، وقوله : " **أطرفنا بغريبةٍ من غرائبِ اسماركَ ، أوْ عجيبةٍ منْ عجائبِ اسفاركَ** " [66] وقد يقوم الايقاع على صوتين يلتزم الكاتب بهما ليوفر السجع ، ويحدث هذا الايقاع تناسبا صوتيا ، ومثال ذلك قول ابي زيد : " **أثبتوها في عجائبِ الاتّفاقِ ، وَخلّدُوهَا بطونَ الاورَاقِ ، فمَا سُيّرَ مثلُهَا في الآفاقِ** " [67] .

وقد يقوم السجع على الالتزام بثلاثة اصوات ، كقول الرجل لابي زيد : " **فإنْ كُنتَ صَدعتَ عن وصفِكَ باليقينِ ، فأتِ بآيةٍ إنْ كنتَ منَ الصَّادقينَ** " [68] فالسجع ـ كما لاحظنا ـ يحقق توازنا بين الجمل المسجوعة ومن الجدير بالذكر انّ السجع يعتبر ملتزما في كل مقامات الحريري ، مما يجعل ايقاعه متوقعا.

---

62 . **المقامة السنجاريّة** : ص154 ـ 155. **الجمان** : جمع جمانه : وهي اللؤلؤة . **المرجان**: خرز احمر يعمل من نبات يوجد في البحر الرومي.

63 . محمد ربيع ، **علوم البلاغة العربيّة** ، ص173.

64 . **المقامة الصنعانية** : ص16. **فاتحة الالطاف**: أول ألطاف الله بي.

65 . المقامة نفسها والصفحة نفسها. **يطبع الاسجاع**: أي يصوغها ويرتبها وهي ما كان له فواصل كقوافي الشعر.

66 . **المقامة الكوفية** :ص45.

67 . **المقامة الكوفيّة** : ص47. فما سير مثلها : فما كتب مثلها .

68 . **المقامة المراغية** : ص55 . **صدعت** : كشفت عما انت عليه . **بآية** : بعلامة تدل على وصفك.

وفي عدد من القصائد التزم الحريري التصريع " والتصريع مأخوذ من مصراعي الباب ، وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب " [69]والتصريع قسم من اقسام السجع في الشعر ، ومن الابيات التي التزم بها التصريع نأخذ على سبيل المثال البيتين التاليين:

" أكرِمْ به أصفرَ راقتْ صُفرَتُه　　جـوّابَ آفاق تـرامَتْ سَفرَتُهْ
مَـأثـــورَةٌ سـمُعتُهُ وَشهـرَتُه　　قدْ أُودعتْ سرَّ الغنى أسرّتُهْ" [70]

ان التصريع في هذه الابيات قد زاد من الايقاع الموسيقي ، ذلك ان الشعر موزون مقفّى في اساسه . وهناك قصيدة شعرية طريفة ، لها قالب غريب ، وهي القصيدة الرائية التي تحتوي في داخلها قصيدة دالية ، وهذا بدوره يزيد في الايقاع الموسيقي في القصيدة . يقول ابو زيد في مطلعها :

" يا خاطـبَ الدُّنيَا الدَّنيّه إنّهَا　　شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الاكدَار
دَارٌ مَتىَ مَا أضحكَت فِي يومِهَا　　أبكَتْ غَداً بُعْدَاً لَها من دارِ " [71]

اما القصيدة الداخلية فتسير على النسق التالي:

" يا خاطبَ الدنيا الدني　　ةِ إنّها شَرَكُ الـرَّدَى
دَارٌ متَى مَا أضْحَكَتْ　　في يومِها أبكتْ غَدَا" [72]

ومن صور الايقاع القائم على تكرار الصوت هو ذلك الايقاع المتولد من تكرار نوع معين من الاصوات في الالاعيب اللغوية التي اشتهر بها الحريري في مقاماته : ففي المقامة السادسة رسالة حروف احدى كلماتها يعمها النقط ، وحروف الاخرى لم يعجمن قطّ : " **الكرَمُ ثبّتَ اللهُ جيشَ سعودِكَ يزينُ ، واللؤمُ غَضّ الدّهرُ جفْنَ حسُودِكَ يَشينُ...** " [73] .ففي هذه الرسالة يتوقع القارِيء الايقاع ، فالرسالة تسير وفق خطة معينة . وبعد اجراء عمل احصائي

69 . محمد ربيع ، **علوم البلاغة العربية** ، ص174.

70 . **المقامة الدينارية** : ص31. (انظر بقية ابيات القصيدة في الصفحة نفسها) **ترامت** : بعدت سفرته . **الاسرّة** : خطوط الجبهة وعنى بها النقوش التي في الدينار.

71 . **المقامة الشعرية** : ص192. (انظر بقية ابيات القصيدة في الصفحة نفسها) **يا خاطب**: يا طالب . **الاكدار** : الهموم .

72 . **المقامة الشعريّة**: ص193.(انظر بقية الابيات في الصفحة نفسها) .

73 . **المقامة المراغية** : ص56. (انظر بقية الرسالة في المقامة).

رصدنا فيه عدد مرات تكرار كل حرف من حروف هذه الرسالة وجدنا ان اكثر الحروف المعجمة استخداما هو حرف الياء ، واكثر الحروف المهملة استخداما هي حروف المد الالف والواو.

وفي المقامة " الرقطاء" ، احد حروفها منقوط والآخر غير منقوط : " **اخلاقٌ سيّدنا تُحبّ ، وَبعَقْوتهِ يُلبّ ، وقُربُهُ تُحَفٌ ، ونائيُهُ تَلَفُ ، وَخُلّتُهُ نَسَبٌ، وَقطيعَتُهُ نَصَبٌ، وَغَرْبُهُ ذَلِقٌ، وَشُهْبُهُ تأتَلِقُ**...." [74] وبعد احصاء عدد مرات تكرار كل حرف وجدنا ان حرف الالف هو اكثر الحروف المهملة استخداما ، اما اكثر الحروف المعجمة تكرارا فهو حرف الباء.

وفي المقامة " الواسطيّة" خطبة خالية من الحروف المعجمة منها : " **الحمدُ لله الملكِ المحمود ، المالكِ الوَدود ، مُصوّر كلّ مولود ، وَمآل كلّ مَطرود، ساطحِ المِهَاد ومُوطّد الاطوَاد، ومرسلِ الامطَارِ ومسهّلِ الاوطَارِ**...." [75] واكَثر الحروفً المهملة في هذه الخَطبة تكَرار حرفي الالف واللام ايضا.

من هنا وجدنا كيف ان الايقاعات السابقة في هذه المقالة التي كشفنا فيها عن بعض الاساليب المتميزة لدى الحريري ، متولدة من ذلك الترتيب والتنظيم المقصودين ، ولا يشعر القاريء بها الا اذا أشار الكاتب الى ذلك ، شارحا سرها ، اذ لا يمكن ادراكها الا بتدقيق النظر والتأمل.

الإيقاع اللفظي

يفرق عز الدين اسماعيل بين مصطلحين في الايقاع اللفظي وذلك من خلال مستويين:

1. التكرار
2. الترديد

فهو يعرف التكرار على انه " ما كرر فيه اللفظ بمعناه على الوجه الذي عدّوه من الاطناب، فالتكرار هو ان يكرر المتكلم الكلمة بعينها(أي باللفظ والمعنى)" [76].

اما الترديد فيعرفه بانه" نوع من الانواع البديعيّة التي عمادها التكرير، وهو ان يأتي المتكلم

74 . **المقامة الرقطا** : ص222. **بعقوته** : بفنائه . **ألب بالمكان** : أقام به.

75 . **المقامة الواسطية** : ص247. **مآل**: ملجأ. **ساطح المهاد**: باسط الفراش، والمراد به الارض. **الاطواد**: جمع الطود: وهو الجبل. **الاملاك**: الملوك.

76 . عز الدين علي، التكرير بين المثير والتأثير، ص245.

بلفظة ثم يرددها بعينها ويعلقها بمعنى آخر" [77] . وبناء على التعريفين نرى ان كلّ ترديد تكرار وليس كلّ تكرار ترديدا، لان الالفاظ المكررة تتحد في المبنى والمعنى في حالة التكرار، وتختلف الالفاظ في بعض الدلالة في حالة الترديد.ومن مظاهر الايقاع في مقامات الحريري، ما نجده في المقامة " التبريزية" حيث يكرر اسم الاشارة (هذا) سبع مرات في كلام القاضي الذي اضطربت نفسيته وانهارت اعصابه من خداع ابي زيد وكيده، وكذلك تكراره لكلمة (اليوم) مما يوحي بايقاع يدل على الضيق والغضب:" **وقالَ:ما هَذا يومُ حُكْمٍ وَقَضَاء، وَفصلٍ وَإمضاء، هَذَا يومُ الاغتِرَامِ، هَذا يومُ البُحرَانِ، هَذا يومُ الخُسرَانِ! هَذا يومٌ عصيبٌ، هذا يومٌ نُصَابُ فيهَ ولا نُصَيبُ!**" [78].

ومن انواع التكرار الاخرى تلك التي يستعملها ابو زيد للحصول على الاموال وذلك للتأثير على الجماعة التي رافقها في البحر طالبا منهم الاجر على الدعاء الذي حصنهم به من مخاطر البحر وذلك في قوله : " **الاعانةَ الاعانةَ** " فقد يوحي هذا التكرار بالاغراء، والاغراء هو الدعوة لفعل شيء . وفي المقامة الدمياطيّة عكس التكرار لهفة الحارث لعودة ابي زيد: " **فقلتُ: إذا شئْتَ فَالسُّرعَةَ السُّرعَةَ، وَالرّجعَةَ الرَّجعَةَ**" [79] ، ولكن يسرع ابو زيد في الرحيل قائلا لابنه " **بدَارِ بدَارِ**" [80] انه الفرار دون عودة، فتكرار كلمة بدار وسيلة تعبر عن رغبة ابي وزيد للخلاص من شرّ يحذر منه. وقد ظهر هذا النوع من الايقاع للدلالة على التشويق لمجالسة ابي زيد مرة أخرى في قول الجماعة التي استقبلته للغلام الذي يعدّ الطعام " **...هَيّا هَيَّا وَهَلُمَّ مَا تَهَيّا**" [81] وقد يستعمل التكرار في احيان اخرى لاتباع وسيلة التحذير، ونجد مثل هذا الاستعمال في تحذير وتهديد الرجل لابي زيد في الاّ يكذب عليه للوصول الى الطعام، يقول: **...وهَا أنَا قَدْ انذَرْتُكَ قبلَ أنْ ينَتْهِكَ السِّتْرُ وَينعقِدَ فيمَا بيننَا الوِترُ، فَلا تُلغِ تَدبّرَ**

77 . المصدر نفسه، 249.

78 . **المقامة التبريزية** ، ص 352. **امضاء**: تنفيذ الحكم . **البُحران**: هو اليم الذي يحدث فيه التغير للمريض دفعة في الامراض الحادة.

79 . **المقامة الدمياطيّة**، ص40.

80 . المقامة نفسها والصفحة نفسها.

81 . **المقامة الكوفيّة**:ص43. **هيّا هيّا**: عجّل عجّل.**هلمّ**: هات. **تهيا**:حصل.

الإنذار، وَحَذارِ منَ الُمكَاذَبَةِ حَذارِ" [82] كما ويأتي التكرار دالا على النصح، وذلك في الاغراء والتحذير، كقول ابي زيد ناصحا الناس بتقوى الله " **الله اللهَ رعاكُمُ الله**" [83] او كقول ابي زيد الذي بدأ يهدده في ان يجعله عبرة لمن يعتبر ان لم يكشف عن هويته: " **فاطرقَ أبُو زيد إطراقَ الشُّجاعِ ، ثمّ قالَ لهُ سماعِ سماعِ**" [84] . كما ورد ايقاع التكرار اللفظي في اسلوبً التعجب والتهويل والتفخيم: " **وهذه الوان من روعة النفس للشيء الذي يستغرب او يُستعظم، فنجد اسلوب التكرير مسعفا لها بالكشف عن انفعالها به**" [85] ومن ذلك ما نجده في المقامة التنيسيّة حيث يقف ابو زيد واعظا الناس مشفقا عليهم، فيقول متعجبا من حال الانسان الذي غرته الحياة: " **مسكين ابن آدم وايّ مسكين** " [86]، وقوله : يا **عجبا كلّ العجب**" [87].

ومن اسلوب التكرار اللفظي، تكرير الفعل .ويستعمل احيانا ليدل على التهويل في قبح الخديعة كقول الحارث لابي زيد: " **أنسيتَ أنكَ اختلتَ وَخَتَلتَ ، وَفَعَلْتَ فِعلَتَكَ التي فَعَلْتَ**" [88]ففي هذا التكرار تكثيف للفعلة التي قام بها ابو زيد. وكذا قول الحارث بن همام: " **قذمَاً وَقَذت النَّميمةُ خيرَ البشرِ، حتّى انُتَشرَ عن حمّالةِ الحطبِ مَا انتَشرَ**" [89]. كما تتكرر الالفاظ للدلالة على التتابع والترتيب كما في قول الحرث : " **فرصدُّها وهيَ تَستَقري الصُّفوفَ صفّاً صفّاً، وَتَستَوكِفَ الأكُفّ كَفّاً كَفّاً**" [90]وقول الزوجة شاكية الى القاضي كذب

82 . **المقامة الفرضية** : ص132. **الوتر**: الحقد والبغضاء . **فلا تلغ تدبر الانذار**: فلا تترك النظر والتأمل بالفكر في عاقبة الامور.

83 . **المقامة السمرقنديّة** : ص238. **الله الله** : اتقوا الله.

84 . **المقامة التبريزيّة** : ص349 .

85 . عز الدين ، **التكرير بين المثير والتأثير**، ص127.

86 . **المقامة التنيسية** : ص354.

87 . المقامة نفسها والصفحة نفسها.

88 . **المقامة الزبيدية**: ص302. ختلت : خدعت.

89 . **المقامة السنجارية**: ص158. **حمالة الحطب**: هي ام جميل بنت حرب عمة معاوية بن ابي سفيان امرأة ابي لهب وكانت تطرح الشوك في طريق النبي واصحابه لتؤذيهم وكانت تمشي بالنمائم الى قريش فتحرضهم عليه.

90 . **المقامة البرقعيدية** : ص63. **تستقري**: تتبع . **تستوكف**: تطلب الوكف وهو ما يسيل سيلا خفيفا، كناية عن قليل العطاء.

زوجها: " **وادّعَى أنّهُ طَالَما نَظَمَ دُرَّةً الى دُرّةٍ، فَبَاعَهُمَا ببِدرَةٍ**"[91] وقول الحارث: " **وَسِرْتُ تَلْفظُنِي أرضٌ إلى أرضٍ**"[92] ومن صور الايقاع القائم على التكرار تكرار الكلمة (ابي) لغاية تعليميّة، حيث وردت عشر مرات في الكنى اللفظية والكنايات الصوفيّة، مما خلق ايقاعا متسلسلا، وكذلك كلمة (ام) التي وردت في المقامة ذاتها ثلاث مرات : ابو زيد يأمر ابنه ان يحضر: " **فَاسْتَدْعِ أَبَا جَامِعٍ فَإِنّهُ بُشْرَى كُلّ جَائِعٍ، وَأَرْدِفْهُ بِأَبِي نُعَيْمٍ. الصَّابِرِ عِلى كُلِّ ضَيْمٍ، ثُمّ عَزّزْ بِأَبِي حَبِيبٍ المُحَبّبِ إلَى كُلّ لَبِيبٍ....وَحيّ هَلَ بِأُمّ القِرّى المُذَكِّرَةِ بِكِسْرَى، وَلا تَتَنَاسَ أُمِّ جَابِرٍ ، فَكَمْ لَهَا مِنْ ذَاكرٍ، وَنَادِ أُمِّ الفَرَجِ ، ثمّ افْتَكْ بِها وَلا حَرَجَ، واخْتِمْ بِابِي رَزِينٍ ، فَهْوَ مَسْلَاةُ كُلِّ حَزِينٍ، وإنْ تَقْرُنَ بِه أبا العَلَاءِ...**"[93] ومنها : " **واجَازَةَ مِيلٍ بَعْدَ مِيلٍ**"[94] وهذا التكرار للكلمات الدالة على المسافة.وقد يتكرر اللفظ لتوضيح معنى الكلمة وتقريبها الى الفهم ، كقول الحارث: " **فإذَا ألْمَعِيّتي ألمعيّةُ ابنِ عبّاسٍ، وَفَرَاسَتِي فَرَاسَةُ إيَاسٍ**"[95] ، وذلك للدلالة على فطنته وذكائه.

وقد يأتي التكرار نيابة عن كلام محذوف لاستقباح ذكره ومثاله قول الحارث: " **فَقَهْقَهُوا مِنْ كَيْتَ وَكَيْتَ وَلَعَنُوا ذَلكَ الميْتَ**"[96] وقوله : " **وَكَانَ حِذتَهُم شَخْصٌ ميسَمُهُ مِيسَمُ الشُّبّانِ، وَلَبُوسُهُ لَبُوسُ الرُّهْبَانِ**"[97] وهو التكرار الذي يدل على بيان هيئة ذلك الرجل ونلاحظ هنا ان الكلمة جاءت في حالة الاضافة ،اذ تتضمن صورة هذه الكلمة مكررة بلفظها

91 . **المقامة الاسكندرية**: ص77. **البدرة** : عشرة آلاف درهم.

92 . **المقامة النصيبيّة**: ص164.

93 . **المقامة النصيبيّة** : ص169. **ابو جامع** : الخوان. **أردفه**: اتبعه . **ابو نُعيم** : هو الخبز الحواري وهو المصنوع من خالص الدقيق . **ابو حبيب** : الجدي من المعز . **أم القرى**: السكباج وهو طعام فيه خل . **كسرى** : ملك فارس ولعله هو الذي اخترعها. ام جابر: الهريسة . **ام الفرج**: الجوذاب ، طعام يتخذ من سكر ورز ولحم. **ابو رزين** : هو الخبيص. **ابو العلاء**: الفالوذج.

94 . **المقامة البكريّة**: ص369.

95 . **المقامة البرقعيديّة** : ص66. **ابن عباس** : كان معروفا بالفطنة والاصابة في الحدس. **إياس**: هو ابن معاوية بن قرة المزني المضروب به المثل في الذكاء.

96 **المقامة الفارقيّة**: ص175. **كيت وكيت** : حكاية ما مضى من الحديث.

97 . **المقامة الدمشقيّة والغوطيّة**: ص102. **حذتهم**: أي حذاءهم ،بجانبهم . **ميسمه**: علامته.

مع تقارب معناها.

ومن صور الايقاع التي يعتمد على تكرار اللفظ ، هو تكرار اداة من الادوات، ومنها تكرار اداة الاستفهام الهمزة في قول القاضي وقد تملكه الغضب من قول أبي زيد وزوجته:" **إنّ هَذَا لَشَيءٌ عَجِيبٌ، أَأَرْشُقُ فِي مَوْقِف سَهْمَيْنِ؟ أَأَلْزَمُ فِي قَضِيّةٍ بِمَغْرَمَيْنِ؟ أَأَطِيقُ أنْ أُرْضِيَ خَصْمَيْنِ؟ وَمِنْ أيْنَ وَمِنْ أَيْنَ؟**" [98] وتتكرر لا النافية في كلام الزوجة الغاضبة على زوجها لتأكيد رفضها للبقاء معه، فتقول:" **أَتَظُنُّنِي أرْضَاكَ إِمَامًا لِمِحْرَابِي ، وَحُسَامًا لِقِرَابِي ، لاَ وَاللهِ وَلا بَوّابًا لِبَابِي وَلا عَصًا لِجِرَابِي**" [99] ومن ذلك تكرار اداة النداء(يا) عندما يتبادل الشتائم كل من ابي زيد وزوجته، لان اداة النداء هي تنبيه للخصم لاثارة غضبه، يقول ابو زيد لزوجته: " **وَيْلَكِ يَا دَفَارِ يَا فَجَارِ ياَ غُصّةَ البَعْلِ والجَارِ**" [100].

الترديد:

وهو نوع من انواع البديع التي عمادها التكرير، وهو ان يأتي المتكلم بلفظة ثم يرددها بعينها ويعلقها بمعنى يختلف قليلا عن دلالة اللفظ الاول[101] ومنه قول الحارث لاصحابه مادحا ابا زيد " **فَإِنْ يَكُنْ أَفِلَ قَمَرُ الشِّعْرَى، فَقَدْ طَلَعَ قَمَرُ الشِّعْرِ، أَوِ اسْتَتَرَ بَدْرُ النّثْرَةِ فَقَدْ تَبَلَّجَ بَدْرُ النَّثْرِ**" [102]فقد خلق ترديد الالفاظ(قمر، بدر) ايقاعا منتظما، وقام هذا الايقاع على تشابه اللفظين في الصوت والبناء مع فارق دلالي جزئي في احد اللفظين ناتج عن تحكم السياق، فالقمر الثاني ليس ذلك الكوكب المعروف لدي الجميع ولكنه ابو زيد، والبدر الثاني ليس

98 . **المقامة التبريزيّة**: ص352.

99 . **المقامة نفسها** : ص348.

100 . نفسها : ص347 . يا دفار يافجار: يا نتنة يا فاجرة.

101 . عز الدين علي ، **التكرير بين المثير والتأثير**، ص249.

102 . المقامة الكوفيّة: ص44. **الشعرى**: كوكب معروف . **استتر** : اختفى.**النثرة** : احدى منازل القمر.**تبلّج** : أي اضاء.

احدى منازل القمر ولكنه ابو زيد، فالاستعمال السياقي للفظتين (قمر ، بدر) يجعلهما تختلفان دلاليا عن القمر والبدر الحقيقيين. فقمر الشعر وهو ابو زيد يقترب في دلالته من القمر المعروف في السماء لان القمرين يبددان الظلام من حولهما، فابو زيد المعروف باشعاره البديعة التي تفوّق بها على ابناء عصره، يضيء ما حوله من ظلام الجهل وفساد الألسنة والقرائح، وكذلك القمر يشرق بنوره وسط الليل الحالك . ومثل هذا يقال في كلمة (بدر).

ايقاع الجناس

والجناس " هو الاتيان بمتماثلين في الحروف او في بعضهما او في الصورة ، او في زيادة في احدهما او بمتخالفين في الترتيب او الحركات او بمماثل يرادف معناه مماثلا آخر نظما" [103]فهو اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معانيهما" [104].

وفي هذا القسم سنعمل على دراسة الوظيفة التي يؤديها الجناس، أي أننا سنقف عند الاطر الدلالية التي يكون فيها الدّالان متماثلين او متقاربين والمدلولان مختلفين، دون التطرق الى انواع الجناس وتصنيفاته . ولا شك ان الحريري كان مولعا بالجناس، فقد حوت مقاماته عددا كبيرا من الجناسات بنوعيه التام والناقص، ويأتي الجناس الناقص في المرتبة الاولى.ومما يوفر الايقاعيّة في النص هو ان الحريري كان يورد الالفاظ المتجانسة في نهاية التراكيب، بحيث يرد اللفظ الاول في خاتمة الجملة ويرد اللفظ المتجانس في خاتمة جملة أخرى .

وقد جاءت مثل هذه الصور على الاغلب لاتمام المعنى واكماله، ومن ذلك قول الشيخ للقاضي متهما تلميذه بسرقة اشعاره: " **ما أحْدَثَ سِوَى أنْ بَتَرَ شَمْلَ شَرْحِه ، وَأَغَارَ عَلَى سَرْحِه**" [105] ومثاله: " **وَلَا أُصَافِي مَنْ يَأْبَى إنْصَافِي، وَلا أُوَاخِي مَنْ يُلْغِي الأوَاخِي، وَلا أُمَالِي مَنْ يُخَيِّبُ آمالِي، وَلا أُبَالِي بِمَنْ صَرَمَ حِبَالِي، وَلا أُدَارِي مَنْ جَهِلَ مِقْدَارِي، وَلا**

103 . الصفدي ، صلاح الدين بن ايبك، **جنان الجناس**، ص19-20.

104 . العلوي ، **الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز**، دار الكتب العلميّة،بيروت، 1982،3/ 351.

105 . **المقامة الشعرية** : ص192. **ما أحدث** : ما زاد. **بتر**:قطع. **شمل سرحه**: اجتماع فرائده. **السرح** : المال السائم، يريد به اجزاءه.

أُعْطِي زِمَامِي مَنْ يُخْفِرُ ذِمَامِي " [106] وقد يفصل بين المتجانسين في هذه الصورة بالجار والمجرور، وينزع المتجانسان هنا الى التحديد والتخصيص:" **وَلا أَغْرِسُ الأَيَادي فِي أَرْضِ الْأَعَادي** " [107] ومن صور الجناس الاخرى، جناس الاشتقاق وهو ما تجانس ركناه في الاصل واختلفا في الهيئة، اذ كلّ منهما على صورة الاشتقاق مع المحافظة على ترتيب الحروف الاصليّة في الركنين. ومن انماط هذه الصورة التي وردت بكثرة في المقامات ان يكون الطرف الاول في المجانسة فعلا والآخر مصدرا لهذا الفعل ، ومنه قول الحارث: " **فقصَدْتُهُمَا قَصْدَ كَلِفٍ بِدَمَاثَتِهِمَا** " [108] وقد يفصل بين المتجانسين باسم معطوف على غير الطرف المتجانس الاول، وترتبط المجانسة هنا بالتفصيل، ومن ذلك قول ابي زيد " **ففصلتُ عَنْهُ بكبدٍ مَرْضُوضَةٍ وَدُمُوعٍ مَفْضُوضَةٍ** " [109] وقوله: " **وَاللهِ بَلْ نَتَوَازَنُ فِي المَقَالِ وَزْنَ المِثْقَالِ، وَنَتَحَاذَى فِي الفِعَالِ حَذْوَ النِّعَالِ** " [110] وقد تدل هذه المجانسة على الحال والنوع معا ومثاله:" **فلَبِثْنَا نَرْقُبُهُ رِقبَةَ الأَعْيَادِ** " [111] ومثاله : " **فَوَقَفَ وَقْفَةَ مُتَهَافِتٍ ، وَحَيّا تَحِيّةَ خَافِتٍ** " [112] فهذه المجانسة تدل على هيئة ابي زيد عند وقوفه وكلامه.

كما يأتي الايقاع دالا على التقابل بين طرفي الجناس ، واكثر الامثلة التي تندرج تحت هذه الصورة تضمنت الدلالة على التقابل بين الامور المادية والأمور المعنوية ، ومن ذلك قول ابي زيد في مدح الوالي: " **وَنَائِلٌ يَدَيْهِ فَاضَ ، وَشُحُّ قَلْبِهِ غَاضَ** " [113] وقد دلت المجانسة بين اللفظين المتضادين (فاض وغاض) على كثرة العطاء وتدفقه، وزوال الكراهية والحقد من قلب هذا الوالي، فقد قام التضاد بين العطاء وهو من مقتضيات المادة، والكراهية وهي من مقتضيات الشعور. وقول الحارث : " **وَغَلَ عَلَيْنَا شَيْخٌ قَدْ ذَهَبَ حِبْرُهُ وَسِبْرُهُ، وَبَقِيَ**

106 . **المقامة الدمياطيّة**: ص37. **يلغي الأواخي**: يهمل العهود . **أمالي**: مخفف من املاء. **صرم حبالي**: نقض عهودي . **من يخفر ذمامي**: من ينقض عهودي.

107 . المقامة نفسها: ص37. **الأيادي** : جمع يد بمعنى العطيّة.

108 . نفسها : ص40. **كلف**: مولع . **بدماثتهما** : بسهولة اخلاقهما.

109 . **المقامة الكوفية**: ص47. **مفضوضة**:مصبوبة متفرقة . **مرضوضة** : مدقوقة.

110 . نفسها : ص38. **نتوازن**: نتماثل . **نتحاذى**: نتساوى، لان النعل تقدر على مقدار صاحبها.

111 . **الدمياطيّة** : ص40.

112 . **المقامة البرقعيدية** : ص61. متهافت: متساقط ، من تهافت البعوض سقط في النار. **خافت**: ضعيف الصوت.

113 . **المقامة الرقطاء**: ص223.

خُبْرُهُ وَسَبْرُهُ" [114] ، فالمجانسة بين (**سِبْرُهُ و سَبْرُهُ**) تدل على التضاد بين امر مادي هو الجمال وامر معنوي روحي هو العلم، وهذ التضاد يدلّ على الفناء المتمثل بالجمال، والخلود المتجسد بالعلم. وقد يدل التضاد بين اللفظين المتجانسين على التفصيل عندما يتتابع الجناس لتعداد اوصاف شيء ما ، ومثاله قول ابي زيد في وصف جاريته:" **وَكَانَتْ عِنْدي جَارِيَةٌ، لَا يُوجَدُ لَهَا فِي الجَمَال مُجَارِيَةٌ، إنْ أسْفَرَتْ خَجِلَ النيِّرَان، وَصَلِيَتِ القُلُوبُ بالنِّيرَان، وَإنْ بَسَمَتْ أزْرَتْ بالجُمَان، وَبِيعَ المُرْجَانُ بِالمجَاّن، وَإنْ رَنَتْ هَيَّجَتْ البَلَابِلَ ، وَحَقَّقَتْ سِحْرَ بَابَل، وإنْ نَطَقَتْ عَقَلَتْ لُبَّ العَاقِل ، وَاسْتَنْزَلَت العُصْمَ مِنَ المَعَاقِل ،وَإنْ قَرَأَتْ شَفَتِ المَفْؤُودَ، وَأَحْيَتِ المَوْؤُودَ**.." [115] فبواسطة الجناس تمكن ابو زيد من رسم صورة تفصيليّة لجمال الجارية. وكذلك قول الحارث في وصف بيت رجل غنيّ: " **واقتادني الَى بَيْتٍ عِشَارُهُ تَخُورُ ، وَأَعْشَارُهُ تَفُورُ، وَوَلائِدُهُ تَمُورُ، وَمَوَائِدُهُ تَدُورُ**" [116]. نلاحظ ان تتابع الجناس ساعد في رسم صورة حيّة لذلك البيت الذي يعجّ بالحركة ويفيض بالخير. ومنه كذلك قول أبي زيد لابنه واصفا الخبز: " **وَاسْتَصْحِبْ ذَا الوَجْهِ البَدْرِيّ، واللّوْنِ الدُّرّيّ ، والأصْلِ النَّقِيّ، وَالجِسْمِ الشَّقِيّ**" [117] وفي اغلب الاحيان يعمد الحريري الى المجانسة بين اسماء البلاد التي زارها ابو زيد والافعال التي يقوم بها في هذه البلاد دون ان يكون لهذا التجانس أي دلالة خاصة ، فهو يقصد خلق الايقاع الموسيقي لا غير ، ومثال قول الحارث :" **شهدْتُ صَلَاةَ المغْرِبِ فِي بَعْضِ مَسَاجِدِ المَغْرِب**" [118] ، وقول ابي زيد للحارث : " **دُونَ مَرَامِكَ حَرْبُ البَسُوس، أو تَصْحَبَنِي الى السّوس**" [119] وقد يدل هذا التجانس على موقف

---

114 . **المقامة الملطيّة**: ص312. غل:دخل . حبره وسبره: هيئته وحسنه . خبره وسبره: علمه وتجربته.

115 . **المقامة السنجاريّة**: ص154.**النيِّران**: الشمس والقمر . **صليت**: التهبت . **أزرت**: هزأت. **الجمان** : جمع جمانة : وهي اللؤلؤة . **البلابل**: جمع بلبال: وهو حرارة في القلب لعدم نيل المقصود. **عقلت**: حبست. المعاقل: الوعول من الجبال المرتفعة او الذين اعتصموا في المعاقل والحصون . **المفؤود**: الذي به وجع الفؤاد . **الموؤود**: الذي دفن حيّا.

116 . **المقامة الشتويّة**: ص384. **العشار** : النوق الحوامل . **أعشاره** : هي البرم . **تمور**: تجيء وتذهب لخدمة الاضياف .

117 . **المقامة الواسطيّة**: ص243. **الاصل النقي** : الحنطة الجيّدة . **الجسم الشقي** : من الطحن والعجن والخبز في النار.

118 . **المقامة المغربيّة** : ص137.

119 . **المقامة الرقطاء**: ص220. السوس: مدينة بارض فارس. ا

المتكلم من البلد التي يزورها ، ومثاله قول الحارث: " **أَلْجَأَنِي حُكْمُ دَهْرٍ قَاسِطٍ الىَ أنْ أنْتَجِعَ أرْضَ وَاسِطٍ**" [120] كما استغل ايقاع الاجناس في سياقات الوعظ والتأثير على المستمعين وحثهم على التوبة، ومنه قول ابي زيد: " **... طَالَمَا أَسَيْتُمْ عَلَى انْثِلامِ الحَبّةِ، وَتَنَاسَيْتُمْ اخْتِرامَ الَأحِبّةِ ، وَاسْتَكَنْتُم لِاعْتِرَاضِ العُسْرَةِ، وَاسْتَهَنْتُمْ بِانْقِرَاضِ الأُسْرَةِ، وَضَحِكْتُمْ عِنْدَ الدّفْنِ، ولاَ ضِحْكَكُم سَاعَةَ الزَّفْنِ...**" [121]

وجاءت امثلة الجناس التام ضمن هذه الصور الايقاعيّة ، مما يساعد على خلق ايقاع لافت قصده الحريري لاثارة انتباه القاريء، وحثّه على معرفة الدلالات المختلفة للكلمات المتماثلة في صورتها، ومثاله تكرار كلمة الدّسْتَ بمعانيها المختلفة في الحوار الذي جرى بين القاضي والحارث: " **...نَشَدْتُكَ اللَه أَلَسْتَ الّذِي أَعَارَهُ الدّسْتَ (اللباس) ؟فَقُلْتُ: لَا وَالّذِي أَحَلّكَ هَذَا الدَّسْتَ (المجلس) مَا أنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ الدَّسْتَ(اللباس)، بَلْ أنْتَ الّذِي تَمّ عَلَيْهِ الدَّسْتُ(القمار)**" [122].

وصورة اخرى لايقاع الجناس، هو توالي اللفظين المتجانسين ويفصل بينهما فاصل قد يكون حرف عطف، ومن الملحوظ ان أكثر حروف العطف التي تفصل بين المتجانسين هو حرف (الواو) ويليه(او). ومنه قول الحارث: " **..أبَاحِثُ كُلَّ مَنْ جَلَّ وَقَلّ...وَخَبَرْتُ مَا شَانَ وَزَانَ**" [123] **وقوله:" وَنَشَرُوا العَجْوَةَ وَالنّجْوَةَ مِنْ نَوْطِهِمْ**" [124] وهنا ربطت الواو بين متجانسين متضادين للدلالة على اختلاط الجيد والرديء فيه. وقول الرجل مهددا ابا زيد ومحذرا اياّه: " **يَا هَذَا إنّ البُغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ ، وَالتّمْيِيزَ بَيْنَ الفَضّةِ وَالقَضَّةِ مُتَيَسِّرٌ**" [125] وقد تفصل الواو بين متجانسين غير متناقضين، ومنه قول الحارث: " **أنَا**

---

120 . **المقامة الواسطيّة**: ص242. **قاسط**: جائر ومائل . **انتجع**: اطلب النجعة . **واسط** : مدينة بالعراق.

121 . **المقامة الساويّة**: ص94. **اسيتم** :حزنتم . **انثلام الحبة**: انكسارها . **الاخترام**: الانقطاع والاستئصال. **الاعتراض**: الوقوع. **العسرة**: الفقر والفاقة . **الزفن** : نوع من الرقص.

122 : **المقامة الشعريّة**: ص201. **الدست** : بمعنى: اللباس . **الدست**(الثانية) : صدر المجلس. **الدست الاخير** : بمعنى دست القمار في اصطلاحهم اذا خاب قدح احدهم ولم يفز قيل : تم عليه الدست.

123 . **المقامة الحلوانيّة**: ص22. خبرت كل ما شان وزان: جربت ما قبح وما حلي.

124 . **المقامة المراغيّة**: ص51. **العجوة**: اجود التمر. **النجوة**: أردأه . **النوط** : جلد يجمع فيه التمر.

125 . المقامة نفسها :ص53. **البغاث** : ضعاف الطير. **لا يستنسر** : لا يتشبه بالنسر. **القضّة**: صغار الحصى.

صَاحِبُهَا وَمُضِلُّهَا،ولي رِسْلُها وَنَسْلُهَا" [126]أي الناقة كلها له . وكذلك قول ابي زيد معرفا بنفسه : " **سَلُوا عَنّي المَشَارِقَ وَالمَغَارِبَ، وَالمنَاسمَ وَالغَوَارِبَ،وَالمحَافلَ وَالجَحَافلَ، وَالقَبَائلَ وَالقَنَابِلَ"** [127]. وقد يفصل في هذه الصورة حرف من حروف الجرّ، وغالبا ما تدلّ هذه الصورة على التخصيص، ومنه قول الحارث واصفا ابا زيد بانه: " **أُعْجُوبَةُ الزَّمَانِ، وَالمشَارُ إِلَيْهِ بِالبَنَانِ فِي البَيَانِ"** [128] فقد فصل حرف الجر(في) بين متجانسين وقام الطرف الثاني من هذين المتجانسين بدور المخصص، وقول زوجة السروجي شاتمة اياه بكونه " **...أَفْضَحُ مِنْ حَبْقَةٍ فِي حَلْقَةٍ ، وَأَحْيَرُ مِنْ بَقَّةٍ فِي حُقَّةٍ"** [129] ولقد استخدم ابو زيد السروجي حرف الجر(بـ) بين متجانسين : الطرف الاول منهما يدلّ على الطعام، أمّا الثاني فيدلّ على فنّ من فنون القول، وذلك في الاسئلة التي وجهها للغلام والتي تدور حول امكانية مبادلة فنون القول بالطعام: " **أَيُبَاعُ هَاهُنَا الرُّطَبُ بِالْخُطَبِ... وَلَا البَلَحُ بالمُلَحِ... وَلَا الثَّمَرُ بِالسَّمَرِ ...وَلاَ العَصَائدُ بِالقَصَائد...وَلَا الثَّرَائدُ بِالفَرَائد"** [130] فهذه الصورة تدل على طلب مبادلة الطرف الثاني بالطرف الاول، وقد تكررت خالقة ايقاعا مكثفا يوحي بالسخرية.

وقد يفصل بين المتجانسين ب(لا) النافية، وهنا تنحصر الدلالة بالطرف الاول ومن الثاني: " **...وَحَاوَر محاورَةَ قَرِيبٍ لَا غَرِيبٍ"** [131] . وكذلك قول ابي زيد " **...سَتُذْرِي الدَّمَ لَا الدّمْعَ"** . وقد يتوازى المتجانسان دون ان يفصل بينهما فاصل، فيظهر الايقاع الموسيقي بشكل واضح نتيجة هذا التجاور التام بين المتجانسين ويأتي هذا النسق في صورة التركيب الشرطي، فيكون أحد المتجانسين فعل الشرط والآخر جواب الشرط، ومن ذلك ما قاله ابو زيد متحديا: " **وَإِنّي لَأَعْرِفُ الآنَ مَنْ إذا أَنْشَا وَشّى، وَإِذَا عَبّرَ حَبّرَ، وَإِنْ أَسْهَبَ أَذْهَبَ،**

126 . **المقامة الوبريّة**: ص232. **رِسْلُها**: لبنها.

127 . **المقامة البصريّة**: ص445–446. **القنابل** : وهو الطائفة من الخيل من 30–40.

128 . **المقامة السّنجاريّة** : ص152. **بالبنان**: بأطراف الاصابع . **في البيان**: في الفصاحة.

129 . **المقامة التبريزيّة**: ص348.

130 . **المقامة البكريّة** : ص381.**العصائد** : جمع عصيدة : وهي دقيق يطبخ بالماء جيّدا ثم يؤكل بالسمن والعسل. **الثرائد**: جمع الثريدة: وهي الخبز المفتوت في مرق اللحم . **الفرائد**: جمع فريدة : واراد بها ابيات القصائد.

131 . **المقامة المكيّة**:ص119.

وَإِذَا أَوْجَزَ أَعْجَزَ، وَإِنْ بَدَهَ شَدَهَ، وَمَتَى اخْتَرعَ خَرَعَ" [132]وقد يأتي احد المتجانسين اسما والآخر فعلا كما ورد في هذه الابيات الشعرية التي ينصح فيها ابنه:

" بُنَيّ اسْتَقِمْ فَالعُودُ تَنمي عرُوقُه   قَويماً وَيَغْشَاهُ إِذَا التَوَى التَّوَى" [133]

وهكذا الى نهاية القصيدة فهو يلتزم بتتابع المتجانسين في آخر كل بيت ، وهذا يجعل الايقاع متوقعا[134].

وقد وردت هذه الصورة في الابيات المتائيم، وهي تلك الابيات التي تتكون من كلمات متجانسة، وقد رسمت هذه الالفاظ المتجانسة صورة حيّة لجمال امرأة تُدعى زينب:

" زُيِّنَتْ زَيْنَبُ بِقَدّ يَقُدُّ   وَتَلاهُ وَيْلَاهُ نَهْدٌ يَهُدّ " [135]

وهكذا فقد حقق توافر الجناس في مقامات الحريري دورا مزدوجا يجمع بين جمال الايقاع الموسيقي وعمق الدلالة، وبهذا يتعدى الجناس في الكثير من الامثلة حدود الجمال الموسيقي ويتصل بالمدلولات في السياق، كأن يعبّر عن التقارب بين مدلول المتجانسين اللذين يقومان إما على الترادف الحقيقي: وهو أن يكون بين اللفظين المتجانسين ترادف رغم اختلاف أصل كلّ منهما، وإما على الترادف الازدواجي وهو أن يكون اللفظان المتجانسان من أصل واحد. كما قد يعبّر الجناس عن التقابل بين معنيين كلّ منهما نقيض للآخر. كذلك قد يعبّر الجناس عن التضاد الذي يقوم على التنافر بين المتجانسين. غير أن هذا لا ينفي وجود العديد من الامثلة التي اقتصر دور الجناس فيها على الناحية التجميليّة، خاصّة عند ورود الالفاظ المتجانسة في نهاية التراكيب، حيث يستخدم الجناس استخداما شكليا لتحقيق السجع.

ايقاع التراكيب

شاع في مقامات الحريري نمط التراكيب شيوعا كبيرا، وهو الايقاع المتولد عن التراكيب

132 . **المقامة المراغيّة**:ص53. **وشّى** : زين وخلط لونا بلون. **حبّر** : أحسن. **أسهب** : أطال الكلام . **أذهب**: أذهب العقول . **إن بده**: عن اجاب على البديهة . أخرع: أي افزع .

133 . **المقامة الحَجْريّة**: ص418 . **العود**: الغصن. **تنمي عروقه**: تزيد، واراد بالعروق الاصول. **التوى**: الهلاك والردى.

134 . تنظر بقية الابيات في المقامة نفسها(الحجرية)، ص418–419.

135 . **المقامة الحلبيّة** :ص405(تنظر بقية الابيات ص406).**بقدّ**: أي بقامة. **يقدّ**: أي يقطع، يعني ان قدها يشق القلوب من حسنه. **تلاه**: أي تبعه.

المتجانسة في اعداد مقاطعها، وهذا التركيب هو التركيب الذي يتكرر بمقاطعه وليس بأصواته، ويعتمد على التوازي التام أو شبه التام. ومن الملاحظ ان الايقاعيّة في هذه التراكيب ناتجة عن التساوي التام بين الوحدات الصوتيّة المكررة.

ومن امثلة هذا الايقاع ما ورد في المقامة الساوية، حيث وقف ابو زيد بالناس في مقبرة حاثّا الناس على تذكر الموت وهول القبر وظلمته:" ...**فَادّكرُوا أيُّهَا الغَافلُونَ وَشَمِّرُوا أيّهَا الُمقصِّرُونَ، وأحْسِنُوا النَّظَرَ أيُّهَا الُمتبَصِّرُونَ ! مَا لَكُمْ لَا يُحْزِنُكُمْ دَفْنُ الأتْرَابِ وَلَا يَهُولُكُمْ هَيْلُ التُّرَابِ ؟ وَلَا تَعْبَأُونَ بِنَوَازِلِ الأحْدَاثِ وَلَا تَسْتَعِدُّونَ لِنُزُولِ الأجْدَاثِ؟ وَلاَ تَسْتَعْبِرُونَ بِعَيْنٍ تَدْمَعُ ، وَلَا تَعْتَبِرُونَ بِنَعْيٍ يُسْمَعُ؟وَلَا تَرْتَاعُونَ لِإلْفٍ يُفْقَدُ وَلَا تَلْتَاعُونَ لِمَنَاحَةٍ تُعْقَدُ؟**[136] فقد خلق التوازي القائم بين كلّ زوجين من التراكيب السابقة ايقاعا منتظما. وقد ابتدأ ابو زيد هذا الوعظ بفعل الامر والنداء وذلك للتنبيه وإثارة الاهتمام . وفي المقامة الدمشقيّة يطلب ابو زيد ركاب السفينة العطاء مقابل دعاء زعم انه ينجي من اهوال البحر، ويستهل هذا الدعاء بايقاع من التراكيب المتوازية: " : **اللّهُمّ يَا مُحْيِيَ الرُّفَات، وَيَا دَافِعَ الآفَات، وَيَا وَاقِيَ المَخَافَات، وَيَا كَرِيمَ الُمكَافَاة ، وَيَا مَوْئِلَ العُفَاة، ويا ولي العفو والمعافاة...**" [137] فابو زيد في هذه التراكيب المتوازية يدعو بالحاح مكررا استخدام أداة النداء (يا) وبعدها يطلب من الله بقوله: " **وَأَعِذْنِي مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيَاطِين، وَنَزَوَاتِ السَّلَاطِين، وَإِعْنَاتِ البَاغِينَ، وَمُعَانَاةِ الطَّاغِينَ، وَمُعَادَاةِ العَادِينَ، وَعُدْوَانِ الُمعَادِينَ، وَغَلْبِ الغَالِبِينَ، وَسَلَبِ السَّالِبِين، وَحِيَلِ المحْتَالِينَ، وَغِيَلِ الُمغْتَالِينَ، وَأَجِرْنِي اللّهُمّ مِنْ جَوْرِ الُمجَاوِرِينَ، وَمُجَاوَرَةِ الجَائِرِينَ**" [138] ويستمر الحريري في هذه الايقاعية ولكنه

136 . **المقامة الساويّة**: ص93–94. **شمروا** : أي اجتهدوا وتهيّأوا. **المتبصرون**: جمع **المتبصر** : المستبصر المتأمل. **هيل**: اصل الهيل : الصب الكثير ، استعمل في ردم القبر بالتراب عند مواراة الميت ودفنه. **الاحداث**: حوادث الدهر ومصائبه . **الاجداث** : جمع جدث: وهو القبر، والمعنى كأنكم غير مكترثين بالموت. **لا تستعبرون**: لا تبكون . **لا تعتبرون**: لا تتعظون.

137 . **المقامة الدمشقيّة**: ص104. **الآفات**: المضرات. **الواقي**، من الوقاية: وهي الحفظ. **موئل**: مرجع وملجأ . **العفاة**: وهو طالب العفو . **المعافاة**: مصدر عافاه الله.

138 . المقامة نفسه والصفحة نفسها. **أعذني** : اجرني. **نزغ الشيطان** : أفسد وأغوى . **نزوات**: جمع نزوة، من نزا ينزو: اذا وثب. **الإعنات** : الشدّة . **الطاغين**: المتجاوزين الحد في الظلم . **العادين** : المعتدين. **الغيل** : الهلاك. **أكف الضائمين**: ايدي الظالمين المذلين.

يكسر الرتابة بتنويع التراكيب، فهو يكمل دعاءه قائلا: " **وَكُفَّ عَنِّي أَكُفَّ الضَّائمِينَ ، وَأَخْرِجْنِي مِنْ ظُلُمَاتِ الظَّالمِينَ ، وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالحِينَ، اللَّهُمَّ حُطْنِي فِي رُتْبَتِي وَغُرْبَتِي ، وَغَيْبَتِي وَأَوبَتِي، وَنَجْعَتِي وَرَجْعَتِي ، وَتصَرُّفِي وَمُنْصَرَفِي، وَتَقَلُّبِي وَمُنْقلَبِي ، واحْفَظْنِي فِي نَفْسِي وَنَفسَائِي....وَلَا تُلْحِقْ بِي تَغْيِيرًا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيّ مُغِيرًا، وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً، اللهُمّ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ وَعَوْنِكَ، وَاخْصُصْنِي بِأَمْنِكَ وَمَنِّكَ، وَتَوَلَّنِي بِاخْتِيارِكَ وَخَيْرِكَ** " [139] ويحاول الحريري ان يخلق نوعا من الايقاع الموسيقي بدلا من السجع الذي التزم به في مقاماته كلها، فابو زيد يظهر في المقامة البغداديّة في هيئة امرأة عجوز تحاول ان تثير شفقة من حولها لابتزاز اموالهم ، فتدعي أنها من سروات القبائل، لم يزل أهلها وبعلها :" **يحَلُّونَ الصَّدْرَ ، وَيَسِيرُونَ القَلْبَ ، وَيَمُطُّونَ الظّهرَ ، وَيولُونَ اليَدَ، فَلَمّا أرْدَى الدّهْرُ الأعضادَ ، وَفجعَ بالجوارحِ الاكبادَ ، وانقلَبَ ظهراً لبطن، نبَاَ النَّاظِرُ، وَجَفَا الحاجِبُ ، وَذَهَبتِ العَيْنُ ، وَفُقِدَتِ الرّاحَةُ، وَصلَدَ الزِّندُ ، وَوَهَنَتِ اليَمِينُ، وَضاعَ اليَسارُ، وَبانتِ المَرَافِقُ ...فمُذْ اغبَرّ العَيشُ الأخضرُ وازورّ المحبوبُ الأصفرُ ، اسوَدَّ يَومِي الأبيضُ، وابيضَ فَوْدِي الاسودُ...** " [140] فهذا التكثيف للتراكيب المتوازية قد سيطر على ايقاع كلامها وكأن الكاتب أراد ان يبين أن هول المصيبة وعظمتها تشغل المتكلم عن تزيين كلامه بالسجع.

وهناك نوع من التراكيب المتوازية تلك التي تأتي في سياق التفصيل، وقد شغلت مساحة واسعة في المقامات. ويهدف هذا التفصيل الذي تقوم به هذه التراكيب الى زيادة الوصف غالبا. ومن هذه التراكيب الايقاعيّة ، ما جاء في المقامة البغداديّة في وصف الصبية الذين استتبعتهم العجوز، فهم: " **أنْحَفَ مِنَ المَغَازِل، وأَضْعَفَ مِنَ الجوَازِل** " [141] ومنه ايضا وصف الحارث لأصدقائه بأنهم:" **فِتْيَةً وُجُوهُهُم أبلجُ مِنْ أنْوَارِه، وأَخلاقُهُمْ أبهجُ من**

139 . **المقامة الدمشقيّة** :ص105. **تربتي** : بلدي ووطني. **النجعة**: طلب الماء والكلأ . **تصرفي**: مشاغلي. **مآلي** : مصيري . **تغييرا** : سلبا بعد عطاء. **مغيرا**: من الاغارة.

140 . **المقامة البغداديّة** : ص113. **يسيرون القلب**: وسط الموكب. **يولون اليد**: يعطون النعمة . اردى: اهلك. **الاعضاد**: الأعوان. **جوارح الانسان**: اعضاؤه التي يكتسب بها. ، يريد الاولاد والخدم. **ظهرا لبطن**: كناية عن تحول الامر. **نبا الناظر**: أي تجافى وبعد. **العين**: الذهب.**صلد الزند**: كناية عن الخيبة.

141 . **المقامة البغداديّة** : ص112. **الجوازل** : جمع جوزل : وهو فرخ الحمامة .

أزهاره ، وألفاظُهُم ارقّ مِنْ نسيمِ أسحـارِه" [142] ومن مواطن التراكيب المتوازية للتفصيل حديث الحارث عن جام الحلوى الذي قدّم الى ابي زيد وعدد من اصحابه:" **ثُمّ قَدّمَ جَاماً كأنّمَا جُمِّدَ مِنَ الَهواءِ، أو جُمِعَ مِنَ الَهبَاءِ، او صِيغَ مِنْ نورِ الفضاءِ، او قُشِرَ مِنَ الدُّرّةِ البيضاءِ ، وَقَدْ أودعَ لَفَائفَ النّعيمِ، وَضُمّخَ بالطّيبِ العَمِيمِ، وَسِيقَ إليه شِرْبٌ من تسنيمٍ، وَسَفَرَ عَنْ مَرْأىً وَسِيمٍ، وَأرَجِ نَسِيمٍ ، فَلَمّا اضطَرَمَتِ الشّهَوَاتُ، وَقَرَمَتْ الى مَخْبَرِهِ اللّهَواتُ ، وَشَارَفَ أنْ تُشَنَ عَلَى سِرْبِه الغاراتُ.....**" [143] فلا يخفى اذا ما لهذا التفصيل من ايقاع موسيقي وزيادة في الوصف. ثم نجد تفصيلا آخر في كلام أبي زيد عندما يفصل مظاهر فقره وحاجته: " **وَهَا أنَا اليوم يَا سَادَتِي ، سَاعِدِي وَسادَتِي، وَجِلْدَتِي بُردتِي، وحَفنَتِي جَفْنَتِي** " [144] فقد اجتمعت ثلاثة تراكيب متوازية متقاربة في الدلالة، وهي تدل على انه انسان معدم لا يملك شيئا.ومنه قول الحارث في تعديد الأثاث الموجود في دار المكدين:" **فإذا فِيهَا أرائكُ مَنقُوشَةٌ، وَطَنَافِسُ مَفْرُوشَةٌ، وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ، وَسُجُوفٌ مَرْصُوصَةٌ**" [145] إن استخدام أربعة تراكيب متوازية بشكل متجاور يخلق ايقاعا واضحا يثير اهتمام السامع، وهذا ما اراده الحريري فهو بهذا التعداد لأثاث الدار يخلق صدمة في توقع السامع، لان هذه الدار يمتلكها المكدّون الذين لا يملكون شيئا، والمتوقع ان تكون الدار خالية لا أثاث فيها ولا متاع، ولكنها هنا دار فخمة ذات أثاث فاخر، ولذلك نجد الكاتب يعدد هذا

---

142 . **المقامة القطيعيّة**: ص203. **ابلج من انواره**: أي اضوأ من ازهار الربيع ، فإن الأنوار جمع نور ، بالفتح، وهو الزهر.

143 . **المقامة السنجاريّة**: ص152. **جاما**: ظرفا من زجاج. **الهباء** : هو ادق الغبار الذي يظهر من ضوء الشمس الداخل من الكوى. **قشر** : نزع، أي كأنه قشرة قشرت من الدرة. **لفائف النعيم**: أي ما لف من الحلوى فطوي بعضه على بعض . **ضمخ**: لطخ . **شرب**: قسم وحظ. **تسنيم** : اسم عين في الجنة. **أرج نسيم** : ريح طيّبة. **القرم**: اصله شدة شهوة اللحم ثم استعمل في مطلق الاشتهاء . **مخبره** : أي ما فيه . **اللهوات**: جمع لهاة ، وهي اللحمة المشرفة على الحلق.**تشن**: تفرق. **السرب** : القطيع من النساء او الوحش والظباء، واراد به هنا صنوف ما في الجام.

144 . **المقامة الكرجيّة**: ص214. **البردة**: كساء اسود مربع فيه خطوط صفر تلبسه الاعراب. **الحفنة**: ملء الكف. **الجفنة**: القصعة.

145 . **المقامة الصّوريّة**: ص256. **أرائك**: جمع اريكة : السرير المزين فوقه قبة منه. **طنافس**: نوع من البسط . **نمارق**: جمع نمرقة: وسادة صغيرة. **السجوف**: جمع سجف: الستر.

الأثاث لتأكيد الفكرة وزيادة دهشة السامع. وفي هذه المقامة ايضا يقوم ابو زيد بعقد قران ولاّج بن خرّاج على قنبس بنت ابي العنبس وهما من المكدين، وفي هذه الخطبة يقوم ابو زيد بتعداد صفات ولاّج بن خرّاج: " **ذو الوَجهِ الوَقاح، وَالإفْكِ الصُّراحِ، وَالهَرِيرِ وَالصِّياحِ، وَالإِبْرَامِ وَالإلحاحِ** "[146] ان هذا التفصيل والتركيب المتوازي يلفت انتباه السامع الى هذه الصفات الغريبة التي يفتخر بها الشحاذون والمكدون ويعتبرون من يتخلق بها مكديا ناجحا يلتزم باخلاقيات المهنة. وتكرر هذه التراكيب المتوازية في تعداد صفات قنبس بنت أبي العنبس التي اختارها ولاّج لما بلغه من " **التحافها بالحَافِهَا، وَاسْرَافهَا فِي إسفَافهَا، وَانكِمَاشِهَا علَى مَعَاشِهَا، وانْتِعَاشِها عِنْدَ هِرَاشِهَا**"[147]فهذه التراكيب المتوازية في وصف أخلاق قنبس تقابل تلك التراكيب المستخدمة في تعداد صفات ولاّج مما خلق ايقاعا يوحي بالطرافة. ويختم ابو زيد هذه الخطبة بالدعاء للعروسين بأن سأل الله في أن : " **يَكْثُرَ فِي المَصَاطِبِ نَسْلُكُم، وَيَحْرُسَ مِنَ المَعَاطِبِ شَمْلَكُم**" [148]وهذا الزوج من التراكيب المتوازية جاء ملائما للتراكيب المتوازية السابقة ومتمما لايقاعها.

وتأتي التراكيب المتوازية في حديث الحارث عن الجهد الذي بذله في البحث عن ناقته، وقد فصّل في بيان هذا البحث المتواصل لاعطاء صورة واضحة عن ذلك الجهد المبذول: " **وَسِرْتُ لا أرَى أثراً الا قَفَوْتُهُ، وَلا نَشَزَاً إلا علَوْتهُ، ولا وادياً إلا جَزعْتُهُ، ولا راكباً لا اسْتَطْلَعْتُهُ** "[149]فقد تجاوزت اربعة تراكيب متوازية متقاربة الدلالة، فكل كلمة في تركيب تقابلها كلمة في التراكيب الثلاثة الاخرى.

وقد برز ايقاع التراكيب المتوازية بالتفصيل في المقامة الساسانيّة التي تتضمن النصيحة التي وجهها ابو زيد لابنه، ولا شك أن هذا الإيقاع يلائم جو النصيحة لما فيه لفت انتباه

146 . المقامة نفسها:ص258. **ابو الدراج**: كناية عن كثرة درجه وسعيه في الطلب. **ولاّج بن خرّاج**: يعني كثرة الولوج والخروج في التكدي. **الإفك الصراح**: الكذب الواضح. **الهرير**: متابعة الصياح. **الإبرام**: الضجار والاثقال.

147 . نفسها: ص259. **العنبس**: من اسماء الاسد. **الإلحاف**: الالحاح. **اسفافها**: كناية عن دنوها وتساقطها على ما يجمع من الناس. **انكماشها**: اسراعها. **انتعاشها**: تهيجها واضطرابها. **هراشها**: مخاصمتها.

148 . نفسها:ص259.

149 . **المقامة الوبريّة**: ص228. **النشز**: المكان المرتفع. **جزعته**: قطعته عرضا. **استطلعته**: سألته واستخبرته عن الناقة.

السامع الى ما يقال، يقول ابو زيد مرغبا ابنه بحرفة الساسانيين: " **ولم ارَ ما هوَ باردُ المغنَمِ ، لذيذُ المطعَمِ، وافِي المكسب، صافِي المشرب، الا الحرفةَ التي وَضَعَ ساسانُ أسَاسَهَا**" [150] فهو يخلق من خلال هذه التراكيب ايقاعا يجذب انتباه ابنه ويرغبه في هذه الحرفةالتي قدّم لها بتعداد مفصّل لفوائدها، ويضيف: " **اذ كانتِ المتجَرَ الّذي لا يبُورُ، والمنهلَ الّذي لا يغورُ**" [151] فكل كلمة في التركيب الاول لها ما يوازيها في التركيب الثاني، ويفصل لابنه مقومات النجاح في هذه المهنة: " **يا بنيَّ إنّ الارتِكاَضَ بَابُهَا، والنشاطَ جلبابُها، والفطنةَ مصباَحُهَا، والقِحّةَ سلاحُهَا**" [152]، فهذه التراكيب المتوازية تخلق ايقاعا يسرب المعاني الى النفس بسهولة. وها هو أبو زيد يحث ابنه على النشاط والحركة في طلب الرزق: " **وَجبْ كُلّ فَجٍّ، وَلِجْ كُلّ لُجٍّ،....ارتَد السّوقَ قبلَ الجلبِ، وامترِ الضِّرْعَ قبلَ الحلبِ**" [153] . كذلك تحتّل هذه التراكيب المتوازيَة قدرا كبيرا من بنية المقامة الدمياطيّ ة في الحوار الذي دار بين ابي زيد وابنه حول الوصيلة والقطع، يقول ابو زيد: " **وَمَنْ حَكَمَ بأنْ أبذُلَ وَتَخْزُنَ، وألِينَ وَتَخْشُنَ، وَأذوبَ وَتَجْمُدَ، وَأَذْكُو وَتَخْمُدَ؟ لَا واللهِ بَلْ نتوازنُ في المقال وزنَ المثقال، وَنَتَحَاذَى حذْوَ النعَال ، حَتى نأمنَ التغابُنَ وَنكَفى التضَاغُن، والا فَلِمَ اعُلّكَ وتُعلّنِي، وأقلِّكَ وَتَستَقلِنِي، وَأجْتَرِحَ لَكَ وَتَجْرَحنِي، وأسرَحُ إليكَ وَتُسَرِّحُنِي؟!**" [154]فقد توالت التراكيب وجاءت في مجموعات، كل مجموعة يُلتزم فيها نوع واحد من التراكيب المتوازية، كما نلاحظ أن كلّ زوج من هذه التراكيب يتكون من الكلمة وضدها، وهذا يزيد من الايقاع الموسيقي.

---

150 . **المقامة الساسانيّة**: ص435.

151 . المقامة نفسها والصفحة نفسها. **لا يغور**: لا ينضب ولا ينقص.

152 نفسها: ص436. **الارتكاض**: الحركة.

153 . نفسها : ص438. **راد السوق وارتادها**: اختبرها، كأنه يقول: اختبر الاسعار قبل شراء البضاعة. **امتر**: امر من الامتراء: مسح الحالب الضرع لتدر.

154 . **المقامة الدمياطيّة**: ص38. **نتوازن**: نتماثل. **نتحاذى**: نتساوى.لان النعل تقدر على مقدار صاحبتها. **اعلك**، من عله: اذا سقاه السقية الثانية. **تعلني**، من أعله: اذا امرضه. **أقلك**، من أقله: اذا رفعه وأعلاه. **إجترح**: اكتسب.

وهكذا فقد تعددت التراكيب المتوازية في مقامات الحريري، وتبع هذا التعدد تعدد في الوظائف التي تقوم بها هذه التراكيب. ويمكننا ان نعتبر هذا القسم أوضح الاساليب الايقاعية في مقامات الحريري لان هذه التراكيب توفر كثافة ايقاعيّة ناتجة عن التساوي التام بين الوحدات الصوتيّة المكررة والابعاد المتساوية بيت التراكيب المتوازية ، فالتراكيب المتوازية تميل الى التجاور التام في أغلب السياقات.فقد احتلت التراكيب المتوازية مساحة كبيرة في العديد من المقامات، وقد تأتي هذه التراكيب المتوازية في مجموعتين أو أكثر، وتقوم بنية كلّ مجموعة على نمط واحد من هذه التراكيب، وقد تتنوع التراكيب المتوازية في السياق مما يكسر الرتابة الايقاعيّة الناتجة عن الاقتصار على نمط واحد من التراكيب فيتنوع الايقاع.

وفي هذا القسم سقنا من الامثلة ما يناسب التدليل على هذه الظاهرة الايقاعية ، كما أنّ الدلالات التي اعطيت للسياقات المستشهد بها هي دلالات خاصّة مرتبطة بسياقات مخصوصة.